الباب الأول

موقف القرآن الكريم والسنة النبوية
من المسيحية والمسيحيين ومبادىء الحوار
معهم في ضوء الكتاب والسنة

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

موقف القرآن الكريم من المسيحية والمسيحيين

جاء القرآن الكريم آخر الكتب السماوية، فختم الله تعالى به الشرائع والأديان، ليهدي البشرية، وليصحح ما انحرف من تعاليم الديانات السابقة عموماً، واليهودية والمسيحية بصفة خاصة.

وإن الباحث في القرآن الكريم يجده قد رسم صورة واضحة لكل ما يتعلق بالمسيحية، من حيث: نبيها ـ عليه السلام ـ وأتباعه، وعقيدته. وقد ذكر القرآن الكريم أيضاً تحريف المسيحية بعد نبيها، في مجال العقيدة والشريعة، وإلى هذا تشير الآية الكريمة في قول الله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48].

ومعنى أن القرآن الكريم مصدق لما قبله من الكتب السماوية: أي مؤيداً لما جاء فيها من الحق ـ قبل تحريفها وتغييرها ـ، ومعنى: ﴿ومهيمناً عليه﴾: أي رقيباً ومؤتمناً عليها، وحافظاً لها، ومصححاً لما دخلها من التحريف[1].

وسيحاول هذا الفصل عرض موقف القرآن الكريم من المسيحية الحقيقية الأصلية المتمثلة في شخصية المسيح ـ عليه السلام ـ، وكل ما يتعلق بها، وكذلك عن حقيقة أتباع المسيح، وإنجيله المقدس. ثم صورة للمسيحية المشوهة المحرفة بعد المسيح، والأخطاء العقائدية التي وقع فيها المسيحيون.

وذلك من خلال المباحث التالية:

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن (6/ 210).

المبحث الأول

الصورة الحقيقية للمسيحية في القرآن الكريم

ويضم هذا المبحث أربعة مطالب، هي:

المطلب الأول

صورة عائلة المسيح ـ عليه السلام ـ في القرآن الكريم

لا يوجد كتاب على وجه الأرض منح السيد المسيح ـ عليه السلام ـ وأمه البتول، وعائلته الكريمة، تكريماً وتبجيلاً أعظم من القرآن الكريم.

بل إن تكريم القرآن الكريم للمسيح وأمه وعائلته يفوق بلا ريب تكريم كل من التوراة والإنجيل الموجودَين حالياً، وكان القرآن الكريم بالإضافة إلى هذا التكريم هو المصحح للأخطاء والاتهامات والافتراءات الباطلة التي كانت توجه إلى السيد المسيح، وأمه الطاهرة على ألسنة المسيحيين أنفسهم.

ففي القرآن الكريم توجد سورة آل عمران، وهي اسم عائلة المسيح ـ عليه السلام ـ، ولفظه (آل) كلمة تخاطَب بها العائلات الكريمة الطيبة، وهذه السورة هي ثاني أطول سورة في القرآن الكريم.

وهناك سورة باسم سورة مريم، وهو اسم السيدة العذراء، والدة المسيح ـ عليهما السلام ـ.

على حين أنه لا يوجد في القرآن الكريم اسم لعائلة نبي الإسلام، محمد ﷺ، إذ لا توجد سورة تحمل اسم (بني هاشم)، أو (بني عبد المطلب)، ولا توجد سورة تحمل اسم (آمنة بنت وهب) والدة الرسول ﷺ.

ولقد ورد اسم أم المسيح ـ عليهما السلام ـ مريم بنت عمران في القرآن الكريم في ستة عشر موضعاً[1] كلها تتحدث عن العذراء بكل التقدير والتبجيل، من ذلك

---

(1) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص665).

قول الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: 42].

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ [التحريم: 12].

وقد تعرضت الآيات القرآنية لذكر عائلة المسيح وأمه على النحو التالي:

أولاً: أعطى القرآن الكريم صورة إجمالية للعائلة التي نشأ فيها السيد المسيح ـ عليه السلام ـ، بدءاً من جدته، والدة أمه العذراء ـ عليهما السلام ـ وهي امرأة عمران.

فذكر القرآن الكريم أنها امرأة مؤمنة خاشعة، نذرت لله تعالى إن رُزقت بوليد أن تجعله خادماً لبيت الله عز وجل، فكان قضاء الله تعالى أن يكون هذا الوليد أنثى.

ونشأت تلك الأنثى على أعظم المستويات التربوية، في العبادة والطهارة والعفاف، وكان هذا كله تهيئاً من الخالق العظيم، لتكون هذه الأنثى أُماً لشخصية معجزة في ولادتها وحياتها ونهايتها، وهي شخصية المسيح ـ عليه السلام ـ، وما أروع تصوير القرآن الكريم لهذه النقاط، وذلك في قول الله تعالىٰ: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: 35-37].

ثانياً: عرض القرآن الكريم شخصية أم المسيح، مريم بنت عمران ـ عليها السلام ـ، وكيف أنها تلقت أعظم التربية والعناية الإيمانية، وذلك على يد نبي كريم، هو زكريا ـ عليه السلام ـ.

ثم وصف القرآن الكريم سمو وطهارة مريم ـ عليها السلام ـ، وكيف أن الله تعالى قد رفعها إلى مكانة راقية، حيث فضّلها على نساء العالمين، وكان كل ذلك من خلال مخاطبة الملائكة لها، في قول الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ

obeikandi.com

﴿وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: 42-43].

ويمتدح القرآن الكريم عفة مريم وطهارتها ـ عليها السلام ـ، وذلك في موضعين:

الأول: في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 91].

الثاني: في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: 12].

وهدف القرآن الكريم من هذا المديح الرائع للسيدة مريم ـ عليها السلام ـ هو الرد على تلك الافتراءات والأباطيل، التي تفوه بها اليهود في حقها ـ عليها السلام ـ، وقد ذكر القرآن الكريم بعض هذه الافتراءات التي نطق بها اليهود وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾(1) [النساء: 156].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: 28-27].

وهذا نوع من القذف بالمنكرات، بلفظ غير صريح(2).

فكل حديث في القرآن الكريم عن مريم العذراء ـ عليها السلام ـ هو حديث إلهي سامٍ، ووحي رباني كريم، لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، بل هو من منبع النور، ومصدر الوحي، إنه من عند الله تعالى، الذي قال: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: 44].

إن مريم ـ عليها السلام ـ، بكلمةٍ مختصرة، إنسانة طاهرة صديقة، وأم نبي كريم من أولي العزم، حملت به بمعجزة، ووضعت به بمعجزة، وقد صدق الله العظيم

---

(1) انظر تفسير الآية: مفاتيح الغيب (11/ 98).
(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن (11/ 99). وتفسير القرآن العظيم (3/ 119).

حين وصفها بقوله: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: 75].

ثالثاً: عرض القرآن الكريم لولادة المسيح ـ عليه السلام ـ بدءاً من البشارة به، وانتهاء بمجيء أمه به تحمله إلى قومها:

وذلك وفق مايلي:

(أ) ـ البشارة لمريم ـ عليها السلام ـ بأن الله تعالى سيرزقها غلاماً، يتصف بالصفات الكريمة التالية: إنه إنسان وجيه، وصالح، ونبي مقرب إلى ربه تعالى، وابن مبارك، بار، وهو رحمة للناس عند بعثته، وآية معجزة عند ولادته. وذلك في موضعين:

الأول: قول الله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 45-47].

الثاني: قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: 16-21].

(ب) ـ الحمل بالسيد المسيح ـ عليه السلام ـ ومكان ولادته، وحال الولادة:

حيث تظهر الصورة النفسية للسيدة مريم ـ عليها السلام ـ، وهي تعاني من آلام المخاض، والوحشة بسبب الوحدة، ثم ذلك الهم القاتل الذي بدأ ينتابها، حين فكرت بالجواب الذي ستجيب به قومها إذا عادت إليهم، وهي تحمل هذا الغلام، وهي العفيفة الطاهرة. فتمنت بسبب هذا كله الموت، ولكن عناية الله تعالى كانت لها بالإحاطة التامة، يقول الله تعالىٰ مصوراً كل هذه الحال: ﴿۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا

مَنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا﴾ [مريم: 26-22].

وكل ذلك في مكانٍ هادئٍ، ذي خضرة وجمال وماء، قال الله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: 50].

(ج) ـ تُتابع الآيات عرض تلك الصورة، وبخاصة ذلك الموقف الحرج والصعب، لفتاة مشهورة بالعفاف والطهارة، وهي تأتي قومها حاملة بين يديها طفلاً رضيعاً، حيث يبدأ الغمز واللمز، وهمهمة الكلام السيء في حقها، ترى ما هو جوابها؟! أمام هؤلاء جميعاً، وهي لا تمتلك حجة أو دليلاً على كل كلمة ستنطقها، فكان إلهام الله تعالى، أن يكون موقفها بشكل يدعو إلى الاستغراب الكبير، ويدفع مَنْ حولها للاهتمام الأكثر بشأنها، والالتفات إلى حالتها، قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ [مريم: 29-26].

وهنا تبدأ شخصية المسيح ـ عليه السلام ـ بالظهور إلى ساحة الحياة الإنسانية، حيث يعلن القرآن الكريم حقيقته التي اختُلف فيها كثيراً، وهذا ما سيتم إبرازه في المطلب الثاني.

المطلب الثاني

حقيقة المسيح ـ عليه السلام ـ كما ذكرها القرآن الكريم

عرض القرآن الكريم صورة المسيح الحقيقية، من لحظة ولادته إلى نهاية وجوده على وجه الأرض، موضحاً حقيقة هذه الشخصية، وهدف دعوتها، وأركان رسالتها، وما اختصها الله تعالى بالمعجزات.

وذلك على النحو التالي:

(1) ـ عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ هو بشر مخلوق، وعبد للخالق عز وجل، وليس هو بإله، ولا بابن إله، وأمه ليست أم إله، بل هي امرأة طاهرة ظهرت براءتها

على لسان رضيعها، وكانت هذه هي الحقيقة الأولى التي نطق بها المسيح وهو في المهد، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [مريم: 30-29].

فالمسيح ليس إلا بشراً مخلوقاً، ونبياً مرسلاً، كما قال الله تعالىٰ عنه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف: 59].

والمسيح لن يستكبر عن الخضوع لخالقه، والتسبيح بحمده، بل يتشرف في كونه عبداً لله تعالىٰ، وهذا مصداق قوله تعالىٰ: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: 172].

وما كانت ولادته ـ عليه السلام ـ بهذا الشكل المعجز، إلا لأنه آية للناس، وابتلاء من الله تعالى، وامتحان لهم.

ولقد سبقه في هذه الطريقة المعجزة التي خُلق بها، في تَمَيُّزها وغرابتها، مثلٌ قديمٌ، وهو مثل آدم أبي البشر ـ عليه السلام ـ، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 59].

(2) ـ عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ نبي ورسول من عند الله عز وجل، كغيره من الأنبياء والمرسلين، جاء ليدعو إلى توحيد الخالق سبحانه وتعالى، ويصحح انحراف الناس عن دينهم، وبُعدهم عن شريعتهم، يقول الله تعالىٰ: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: 75].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الزخرف: 63].

وقوله تعالىٰ: ﴿۞ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ﴾ [البقرة: 253].

وقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ ۖ﴾ [الحديد: 27].

(3) ـ عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ إنسان بار بوالدته، ليس بجبار ولا شقي،

قال الله تعالىٰ على لسانه: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [مريم: 32].

وهذه الحقيقة القرآنية تنفي بوضوح كل ما جاء في الإنجيل الحالي، من أن المسيح ـ عليه السلام ـ كان إنساناً عاقاً، مستهتراً بأمه، يناديها بكل لا مبالاة، ويكلمها بكل جفوة، حيث ورد في الإنجيل قوله: «مالي ولك يا امرأة؟!»[1].

(4) ـ عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ قدوة صالحة، وأنموذج رائع للإيمان والعبادة والإخلاص لله تعالى، يقول الله تعالىٰ على لسانه: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [مريم: 31-30].

(5) ـ حقيقة رسالة المسيح ـ عليه السلام ـ، ومحدوديتها، إذ بعثهُ الله تعالى إلى طائفة محددة من البشرية، فليست رسالته عامة لكافة الناس، وإنما هو نبي مرسل إلى بني إسرائيل، وفقط، والآيات القرآنية واضحة في هذه النقطة، حيث تبين محدودية رسالة المسيح، واختصاصها ببني إسرائيل وحدهم، يقول الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصف: 6].

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۝ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [آل عمران: 49-48].

وإن محدودية رسالة المسيح ـ عليه السلام ـ، واختصاص دعوته ببني إسرائيل، أمر واضح تماماً في الأناجيل المعتمدة عند المسيحيين حالياً، فقد صرح بذلك المسيح نفسه، في قوله: «لم أُرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة»[2].

وهذه النصوص السابقة فيها رد واضح على كل دعوى تقول: إن المسيحية دين عالمي، وإن التبشير به من أركان ذلك الدين.

ومن الخطأ أيضاً تسمية الحَواريين بالرسل، والقول بأن المسيح قد أمرهم بالإنتشار في البلدان للدعوة إلى المسيحية.

---

(1) العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح (2)، الفقرة (4).

(2) العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح (15)، الفقرة (24).

(6) ـ يعرض القرآن الكريم حقيقة المسيح ـ عليه السلام ـ ومهمته التي جاء لأجلها، وأن له وقتاً محدداً سوف يمضي فيه بدعوته إلى الله تعالىٰ، حيث سيبلِّغ رسالة ربه المتمثلة في الإنجيل، وليتابع شريعة وسيرة التوراة، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 46].

(7) ـ يذكر القرآن الكريم إحدى أهم وظائف المسيح ـ عليه السلام ـ وهي الإخبار والتبشير بمجيء النَّبي الخاتم ﷺ وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾

[الصف: 6].

(8) ـ المسيح ـ عليه السلام ـ هو كلمة الله تعالىٰ، يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النساء: 171].

والمقصود بالكلمة هنا: الأمر الإلهي، الذي صدر عن الله تعالىٰ بلفظ (كن)، من غير واسطة أب[1].

وتعني الكلمة أيضاً بشارةَ الله تعالىٰ، وهَدِيَّتَهُ، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ [آل عمران: 45].

(9) ـ المسيح ـ عليه السلام ـ هو روح من الله تعالى[2]، يقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: 171]. وهذه الإضافة (روح الله) هي إضافة التشريف والإجلال والتكريم كما يُقال (بيت الله) و(رسل الله) و(نعمة الله) و(ناقة الله)[3].

ولعل هذه الإضافة لصفة عيسى ـ عليه السلام ـ إلى الله تعالى: (روح الله)، هي التي اعتمدها المسيحيون، وأقاموا على مدلولها أسس دينهم، في قضية التثليث،

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن (6/ 22). وانظر: مفاتيح الغيب (8/ 47).
(2) انظر دراسة تفصيلية حول هذه النقطة الروح لابن القيم (ص 240) والفكر الإسلامي في الرد على النصارى(ص312).
(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن (22/6) ومفاتيح الغيب (115/11).

ففسروا هذه الألفاظ تفسيراً محمولاً على الظاهر، دون الانتباه إلى الدلالة اللغوية لهذه الإضافات.

وكلمة روح هنا ليست خصيصة اختص الله تعالى بها في قرآنه السيد المسيح ـ عليه السلام ـ، فهناك معانٍ أخرى لكلمة روح، وهناك من أُطلقت عليه هذه اللفظة أيضاً.

يقول الله تعالىٰ عن آدم ـ عليه السلام ـ: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: 29].

والقرآن الكريم هو نفسه روح من أمر الله تعالى، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ ﴾ [الشورى: 52].

ووحي الله تعالى لكل أنبيائه، سُمي في القرآن الكريم روحاً من أمر الله تعالى، يقول الله عز وجل: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل: 2].

وجبريل أمين الوحي ـ عليه السلام ـ سُمي في القرآن الكريم روحاً من الله تعالى، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم: 17].

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء: 194-192].

وقد سمى القرآن الكريم معونة الله تعالى، وتأييده، ونصره للمؤمنين، عند القتال بالروح منه، قال الله تعالىٰ: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ ﴾ [المجادلة: 22].

(10) ـ معجزات السيد المسيح ـ عليه السلام ـ:

السيد المسيح ـ عليه السلام ـ نبي كسائر الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، دعا قومه إلى الإيمان بالله تعالى، وبيّن لهم شرائع اختلفوا فيها، ومنهجاً للحياة السعيدة، يقول الله

تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الزخرف: 63].

ومع هذه الدعوة إلى الله تعالى، كان لابد من معجزات تُظهر تأييد الله عز وجل لرسوله بدعوته، وهذه المعجزات تتناسب مع أحوال كل قوم من الأقوام[1].

والمعجزات المذكورة في القرآن الكريم عن المسيح ـ عليه السلام ـ هي:

1ـ إبراء الأكمه.

2ـ إبراء الأبرص.

3ـ إحياء الموتى.

4ـ نزول المائدة من السماء.

5ـ تصوير الطين، والنفخ فيه، فيصبح حياً بإذن الله تعالى.

6ـ الإخبار ببعض المغيبات.

7ـ الكلام في المهد.

وكل هذه المعجزات هي بأمر الله تعالى وإذنه، وليس فيها أية خاصية يختص بها المسيح ـ عليه السلام ـ دون سائر الأنبياء ـ عليهم السلام ـ.

والآيات التي ذكرت تلك المعجزات لم تُغفل هذه الناحية، حيث بينت أن هذه المعجزات هي لإثبات نبوة المسيح ـ عليه السلام ـ وكلها تجري بأمر الله تعالى وتأييده.

يقول الله تعالىٰ: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 49].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ

---

(1) انظر الحكمة من كون معجزات المسيح بهذا الشكل: البداية والنهاية (2/ 84).

obeikandl.com

وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: 110].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

[المائدة: 112-115].

(11) ـ نهاية المسيح ـ عليه السلام ـ:

لقد ذكر القرآن الكريم فيما يتعلق بنهاية عيسى ابن مريم بين قومه آيتين هما:

الأولى: قول الله تعالى: ﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران: 55-52].

الثانية: قول الله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: 159-157].

إن هذه الآيات الكريمة تقرر النقاط التالية في قضية نهاية المسيح ـ عليه السلام ـ على هذه الأرض[1].

---

(1) انظر تفسير الآيات السابقة: مفاتيح الغيب (11/ 99). ومابعدها. والجامع لأحكام القرآن (4/ 100) و (6/ 9). وتفسير القرآن العظيم (1/ 366) و (1/ 574).

(أ) ـ تنص الآيات على أن السيد المسيح ـ عليه السلام ـ لم يُصلب أبداً، ولم يُقتل أبداً، ولم يُصب بأي أذى.

(ب) ـ تنص الآيات أن هناك إنساناً آخر ـ غير المسيح ـ قد وقع عليه شبَهُ المسيح ـ عليه السلام ـ فصُلِب بدلاً عنه.

(ج) ـ تنص الآيات على أن الله تعالى قد أحاط نبيه المسيح ـ عليه السلام ـ بكل الرعاية والعناية، ورفعه إليه، تكريماً وحماية، لتخليصه من أيدي العابثين[1].

إن كل ما سبق عرضه هو من باب المعجزات للسيد المسيح ـ عليه السلام ـ وهذه المعجزات هي من قدرة الله تعالى، فلا يمكن أن تكون بالنسبة لله عز وجل أمراً مستغرباً، إذ إن قدرته عز وجل لا حدود لها.

ثم لم تكن هذه الرعاية والحماية، والحفظ من القتل أو الصلب، وكذا قضية الرفع للمسيح ـ عليه السلام ـ، لم تكن هذه الأمور إلا لحكمة أرادها الله عز وجل لامتحان الناس، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 157-158].

وإن الناظر في الآيات القرآنية التي تحدثت عن نهاية المسيح ـ عليه السلام ـ على وجه الأرض، ليجد أن إنجيل (برنابا) قد وافق هذه الآيات تماماً، فقد جاء في الفصلين (215/ 216) مانصه: «ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع، سمع يسوع دنو جمع غفير، فلذلك إنساب إلى البيت خائفاً، وكان الأحد عشر نياماً، فلما رأى الله الخطر على عبده، أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سفراءه، أن يأخذوا يسوع من العالم، فجاء الملائكة الأطهار، وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب، فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة، في صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الأبد.

---

(1) حول هذه النقطة، انظر: فتح الباري (6/ 491). ومبادىء العقيدة الإسلامية (ص338). وكبرى اليقينيات الكونية (ص322). والتصريح بما تواتر في نزول المسيح (ص62). وهناك رأي يخالف الرأي المشهور أورده الشيخ محمود شلتوت، انظر: الفتاوى، للشيخ شلتوت، ص(59). ومابعدها.

ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أُصعد منها يسوع، وكان التلاميذ كلهم نياماً، فأتى الله العجيب بأمر عجيب، فتغير يهوذا في النطق، وفي الوجه، فصار شبهاً بيسوع، حتى إننا اعتقدنا أنه يسوع، أما هو فبعد أن أيقظنا، أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم، لذلك تعجبنا، وأجبنا: أنت ياسيد، هو معلمنا، أنسيتنا الآن؟ أما هو فقال مبتسماً: هل أنتم أغبياء، حتى لا تعرفون يهوذا الإسخريوطي؟ وبينما كان يقول هذا دخلت الجنود وألقوا أيديهم على يهوذا، لأنه كان شبيهاً بيسوع من كل وجه»[1].

المطلب الثالث

صورة الإنجيل الحقيقية في القرآن الكريم

ورد ذكر الإنجيل في القرآن الكريم في اثني عشر موضعاً[2]. حيث وصفه القرآن الكريم بأربعة أوصاف، هي:

(1) ـ الإنجيل هو الهدى.

(2) ـ الإنجيل هو النور.

(3) الإنجيل هو المصدق للتوراة التي جاء بها موسى ـ عليه السلام ـ.

(4) ـ الإنجيل هو الموعظة للمتقين.

يقول الله تعالىٰ: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: 46].

وسمى القرآن الكريم الإنجيل باسم (الكتاب)، وذلك في قوله تعالىٰ على لسان المسيح: ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا ﴾ [مريم: 31-30].

والإنجيل الذي أنزله الله تعالى على المسيح ـ عليه السلام ـ هو وحي إلهي جاءت فيه تعاليم المسيح، ودعوته الناس إلى الله تعالى، وبشارته بالنبي الجديد، الذي سيأتي بعد المسيح ـ عليه السلام ـ حيث ستكون بعثته ـ أي النبي الجديد ـ خاتمة لكل

---

(1) إنجيل برنابا (ص308). وانظر: يهوذا الإسخريوطي على الصليب (ص266) ومابعدها.

(2) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص688).

البعثات والرسالات، ومن أهدافها تخفيف كثير من الأعباء على بني إسرائيل، وتبشر هذه البعثة بالسماحة والخير والرحمة، يقول الله تعالىٰ: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف: 156-157].

المطلب الرابع

صورة الحواريين الحقيقية في القرآن الكريم

ورد ذكر الحواريين في القرآن الكريم في خمسة مواضع[1].

والحواريون هم تلاميذ المسيح وأنصاره، الذين آمنوا به، وصدقوه، واتبعوا دينه. وقد سمّاهم القرآن الكريم بالأنصار، قال الله تعالىٰ: ﴿ ۞ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 52].

وكان من دعاء الحواريين في القرآن الكريم قوله تعالىٰ: ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران: 53].

وكان من إلهام الله تعالى للحواريين أن أمرهم بالإيمان به، وبرسوله، وقد آمنوا، وشهدوا بأنهم مسلمون[2]: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ [المائدة: 111].

وقد طلب الحواريون من المسيح ـ عليه السلام ـ معجزة لأجل أن يزدادوا إيماناً، وتطمئن قلوبهم بها[3].

(1) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص220).
(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن (6/ 363). وتفسير القرآن العظيم (2/ 115).
(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن (6/ 365). وتفسير القرآن العظيم (2/ 116).

كما سأل الخليل إبراهيم ـ عليه السلام ـ ربّه تعالى بقوله: ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ [البقرة: 260].

وجاء هذا الطلب للمعجزة في قولهم: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾

[المائدة: 113-112].

وقد استجاب المسيح ـ عليه السلام ـ لطلبهم، بعد أن حذّرهم من الانحراف إذا أجاب الله دعاءه، فدعا ربه تعالىٰ: ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [المائدة: 114].

وامتدح القرآن الكريم الحواريين، ودعا إلى الاقتداء بهم، والسير على نهجهم، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ ﴾ [الصف: 14].

ووصف القرآن الكريم الحواريين بالرأفة والرحمة، بقوله تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ [الحديد: 27].

إن كل ما سبق ذكره عن شخصية المسيح ـ عليه السلام ـ وحقيقته، ورسالته، ونهايته، وما ذكر عن أمه البتول ـ عليها السلام ـ وعن إنجيله، وحواريه، كان كل ذلك هو الجانب الهادىء الإيجابي في العرض القرآني للمسيحية، وهو جانب الحقيقة التي تتعلق بالمسيح، وأمه، ودينه، وهذا الجانب هو الذي يؤمن به المسلمون في كل زمان، وعلى مر العصور، ولهذا السبب كانت لديهم تلك النظرة السامية من الإجلال والاحترام والتقدير للمسيح، وأمه ـ عليهما السلام ـ ودينه وكتابه.

وهذا العرض القرآني للمسيحية بهذا الشكل الهادىء، ودون اللجوء إلى أسلوب المجادلة، وإبراز الأخطاء التي وقع فيها المسيحيون، هو إشارة غير مباشرة للمسلمين حتى يسيروا وفق هذا المنهج في طريقة حوارهم، وعلاقتهم مع المسيحيين.

openkandil.com

إن ما سبق عرضه هو الصورة الأصلية للديانة المسيحية كما أرادها الله تعالى أن تكون، وكما جاء بها المسيح نفسه ـ عليه السلام ـ وكما سار عليها أتباعه من الحواريين.

فهو الصورة المضيئة الصحيحة للمسيحية، ديانة السيد المسيح ـ عليه السلام ـ خالية من أي تحريف، أوَ تشويه، أو تبديل ـ زيادة أو نقصاناً ـ.

المبحث الثاني

الصورة السلبية للمسيحية المشوهة بعد المسيح في القرآن الكريم

إنه الوجه الثاني، والأسلوب الآخر الذي تحدث فيه القرآن الكريم عن المسيحية، ولكِنْ: أية مسيحية؟!... إنها المسيحية المحرفة والمشوهة، التي كانت بعد المسيح ـ عليه السلام ـ وحتى نزول الوحي على النبي ﷺ.

وفي هذا الوجه والأسلوب عرض للمسيحيين أنفسهم، وعرض لرهبانهم وأحبارهم، بعد أن حرّفت المسيحية، وابتعدت عن صفائها الحقيقي، ودخلت فيها الأخطاء.

وفي هذا الوجه أيضاً عرض لمواقف المسيحيين من الدعوة الإسلامية، ومن النبي ﷺ ورسالته، ودعوته.

وكل هذا العرض مترافق تماماً مع العدالة القرآنية الرائعة، والتي لم تُصدِر الأحكام شاملة، على كل المسيحيين، ورهبانهم، وأحبارهم، بل كان الاستثناء دائماً لتلك الفئة القليلة ممن اتبعوا الحق، ولم يحرفوا ديانة المسيح ـ عليه السلام ـ وآمنوا برسالة النبي الكريم ﷺ بعد ما تبين لهم الحق.

وقد كان العرض القرآني للوجه الثاني للمسيحية المحرفة والمشوهة، وفق الأسلوب الآتي:

المطلب الأول

مخاطبة القرآن الكريم لمن اتبع الحق من المسيحيين بأفضل الأساليب.

لقد خاطب القرآن الكريم اليهود والنصارى بأجمل الألفاظ، وألطف العبارات، لقد قال لهم: ﴿يا أهلَ الكتابِ﴾ حيث وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم في واحد وثلاثين موضعاً[1].

من ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [آل عمران: 64].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [المائدة: 19].

وإن كلمة أهل الكتاب لقب يدل على الاحترام الذي خوطب به المسيحيون واليهود في القرآن الكريم، وبمعنى آخر، فالله تعالىٰ يخاطبهم بـ: يا أهل العلم. ويا أصحاب المخطوطات المقدسة[2].

وخاطبهم أيضاً في ثلاثين موضعاً بلفظ: ﴿الذين أُوتوا الكتاب﴾[3]. أو بنفس المعنى، من ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: 144].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾ [النساء: 47].

وفي موضع واحد خاطب القرآن الكريم المسيحيين بلفظ: ﴿أهل الإنجيل﴾. وذلك في قول الله تعالىٰ: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة: 47].

---

(1) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص592) ومابعدها.
(2) انظر: مجموعة كتيبات في مقارنة الأديان (ص200).
(3) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص592) ومابعدها.

obeikandl.com

وقد قسّم القرآن الكريم أهل الكتاب إلى قسمين:

الأول: الذين أصروا على كفرهم، وعنادهم، ورفضوا رسالة النبي محمد ﷺ، ودعوته.

والثاني: الذين آمنوا بالنبي محمد ﷺ واتبعوا الحق الذي جاء به، وهؤلاء قد تحدث القرآن الكريم عنهم بكل احترام وتقدير، ومدح وتعظيم لشأنهم.

وجاء ذكر هؤلاء ـ النوع الثاني ـ وهم مؤمنوا أهل الكتاب في القرآن الكريم في ستة عشر موضعاً.

فلم يَغْمَطْ القرآن الكريم حقوق هؤلاء ومكانتهم، بل أشار إلى عدالتهم وإيمانهم، وخشيتهم لله تعالى، وتواضعهم له، وامتثالهم لأوامره، واجتنابهم لنواهيه.

ويتحدث القرآن الكريم عن كل الذين آمنوا من المسلمين واليهود والنصارى والصابئين ويخبر عن نهايتهم عند الله تعالى، بأن لهم الأمن والأجر الكريم، فكل من اتبعوا دين الله الحقيقي الذي جاءهم به رسولهم من عند الله تعالىٰ، سواء أكان مسلماً اتبع رسالة الإسلام، أم يهودياً اتبع رسالة موسى ـ عليه السلام ـ وكذا كل مسيحي وصابىء، بأن آمنوا بالله ووحدانيته، وصدقوا باليوم الآخر، وعملوا الصالحات التي أمرتهم بها رسلهم، فلن يضيع الله تعالىٰ أجرهم أبداً.

يقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1] [البقرة: 62].

وفي موضع آخر يتحدث القرآن الكريم عن المؤمنين من أهل الكتاب بالحق، وأنه لا يستوون مع غيرهم من الذين أصروا على كفرهم وعنادهم، بقوله تعالىٰ: ﴿۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى

(1) وقد ورد نفس المعنى في سورة المائدة الآية 69.

ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 113ـ115].

ثم يمتدح القرآن الكريم أولئك الذين اتبعوا الحق، وكانوا خاشعين، ولم يأخذوا شيئاً مقابل الحق وإظهاره واضحاً، في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: 199].

ثم سمّى القرآن الكريم علماءهم الذين يتبعون الحق: الراسخين في العلم، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 162].

ويتحدث القرآن الكريم عن خشوعهم، ورقة قلوبهم، عندما يؤمنون برسالة النبي محمد ﷺ، وعن خضوعهم التام لآيات الله تعالى، بل ويعتبرهم أقرب الناس إلى المسلمين، وذلك في موضعين:

الأول: في قول الله تعالىٰ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المائدة: 82ـ84].

والثاني: قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾ [الإسراء: 107ـ109].

ويبشر القرآن الكريم كل من آمن من أهل الكتاب، واتبع رسالة النبي محمد ﷺ، بأن له من ربه أجرين، **الأول**: أجره لاتباعه نبيه الأول، قبل وصوله رسالة الإسلام. **والثاني**: أجره لاتباعه النبي محمداً ﷺ، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ

obeikandl.com

مُّسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص: 52ـ54].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1] [الحديد: 28].

ثم يعرض القرآن الكريم لأهل الكتاب أجرهم وثوابهم عند الله تعالى لو أنهم آمنوا بالنبي ﷺ واتبعوا رسالته، والحق الذي أنزل معه وذلك في قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 65ـ66].

وبصورة عامة عندما يتحدث القرآن الكريم عن أهل الكتاب يستثني طائفة منهم، ويشير إلى أنهم لا يخضعون للحكم الذي صدر في حق الجميع، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: 59]. حيث جاء لفظ ﴿أكثركم﴾ بمعنى أن هناك البعض ليسوا بفاسقين.

ويتضح ذلك أيضاً في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: 68].

ومن هذا الاستثناء، وعدم التعميم في إصدار الأحكام، عرض القرآن الكريم قضية أخلاقية هامة، وهي الأمانة عند بعض أهل الكتاب، وصورها بالتصوير الآتي في قوله تعالىٰ: ﴿۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ [آل عمران: 75].

---

(1) وانظر تفسير الآية: الجامع لأحكام القرآن (17/ 266).

المطلب الثاني

وصف القرآن الكريم للذين رفضوا الحق، واتبعوا أهواءهم

وهذه هي الصورة الثانية، لأولئك الذين رفضوا رسالة الحق، وأصروا على كفرهم وعنادهم، وحاربوا الله ورسوله بكل الأساليب، فلم يقف القرآن الكريم منهم موقف المشاهد، بل عرّى حقيقتهم، ووضح صورتهم، وبيّن أخطاءهم وانحرافاتهم، وحذّر من اتِّباعهم، أو اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين، وذلك على النحو التالي:

(1) ـ نسيان أهل الكتاب للميثاق الذي قطعوه على أنفسهم، لئن جاءهم النبي الأمي ليؤمنن به وليتبعنه، وقد ذكر الله تعالى ذلك الميثاق في قوله الكريم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: 187].

وهكذا الميثاق مكتوب عندهم في إنجيلهم، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [المائدة: 14].

(2) ـ جرأتهم على الله تعالى في أقوالهم واعتقاداتهم: فتارة يدّعون أنهم على الحق، ومن سواهم على الباطل، قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾ [البقرة: 135].

وتارة يدّعون أنهم أبناء الله وأحباؤه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة: 18].

وتارة يجعلون الجنة ورحمة الله تعالى خاصة بهم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: 111].

ثم وصلت بهم الجرأة على الله تعالى بأن نسبوا إليه ولداً ـ سبحان الله عما يقولون ـ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 30].

ثم وقعوا في شر أعظم من ذلك، وأبشع، وذلك بادعائهم بأن الله تعالى هو نفسه

obeikandi.com

المسيح ابن مريم ـ سبحان الله وتعالى ـ، وأطلق القرآن الكريم عليهم لفظ الكفر، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ﴾ [المائدة: 17].

وقد وصف القرآن الكريم كل هذه النقاط السابقة بالكذب، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: 75].

(3) ـ **الغرور والأماني**: وهو أحد أمراضهم الخطيرة، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ﴾ [البقرة: 135].

ومن غرورهم ادعاءاتهم بأنهم لن يعذبوا في النار إلا وقتاً يسيراً، قال الله تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [آل عمران: 24].

ومن أمانيهم أيضاً ادعاؤهم بأن الجنة خاصة بهم، ولن يدخلها أحد غيرهم، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ﴾ [البقرة: 111].

(4) ـ **المعاندة والإصرار على الباطل، ولو اتضح الحق**: فأهل الكتاب يعلمون أن النبي محمداً ﷺ صادق في دعوته، ورسول من عند ربه تعالى، ولكنهم يرفضون الإذعان للحقيقة، قال الله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ﴾ [البقرة: 146].

وقوله تعالىٰ: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [الأنعام: 114].

(5) ـ **احتقارهم للآخرين، وعدم الاكتراث بما عند الآخرين من الحق**، قال الله تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ ﴾ [آل عمران: 75].

وقول الله تعالىٰ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ﴾ [البقرة: 113].

(6) ـ **عدم رضاهم عمن لم يتبع نهجهم وملّتهم**: يقول الله تعالىٰ: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ﴾ [البقرة: 120].

وإنما اتبعوا منهج منع كل إنسان من الوصول إلى الحقيقة، وتشويه كل براهينها،

ومحاولة الانحراف بها، قال الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: 99].

وقوله تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾ [النساء: 44].

(7) ـ **حسدهم للمؤمنين على فضل الله تعالى عليهم، وتَمَنِّيهم لو يكفر المؤمنون بما أنزل إليهم من ربهم**، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ ﴾ [البقرة: 109].
وقوله تعالىٰ: ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [آل عمران: 69]. وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ ﴾ [النساء: 54].

(8) ـ **الغلو في الدين**: وهو أيضاً من أخطر أمراض أهل الكتاب، حيث عظّموا المسيح، عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ، ورفعوه إلى مكانة عالية، ثم ادعوا بأنه إله مع الله تعالى، وقد حذّرهم القرآن الكريم من هذا الغلو، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء: 171].

وقول الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: 77].

ثم وصل بهم الغلو في دينهم إلى درجة التعصب المقيت، بحيث رفضوا كل شيء سوى دينهم، قال الله تعالىٰ ـ حكاية عنهم ـ: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾

[آل عمران: 73].

(9) ـ **الاختلاف فيما بينهم بسبب بغيهم، وظلمهم، وغلّوهم، وتعاليهم**، الأمر الذي أدى إلى تفرقهم وتمزقهم، في حقيقة دينهم، رغم وجود البينات والعلم فيهم، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ ﴾

[الجاثية: 16ـ17].

(10) ـ ابتداعهم الترهب، والانحراف به عن الأصل الذي شرعه الله تعالى لهم، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[1] [الحديد: 27].

(11) ـ وقوع أهل الكتاب في مرض قسوة القلب، بسبب بعدهم عن رسالة الله تعالى، وقد حذّر الله تعالىٰ المسلمين من هذا المرض، في قوله الكريم: ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد: 16].

المطلب الثالث

موقف القرآن الكريم من تحريف التوراة والإنجيل

وضّح القرآن الكريم كل ما يتعلق بعملية تحريف الكتب السماوية المنزلة، وبخاصة التوراة والإنجيل، وبيّن كل الأساليب التي اتبعها أهل الكتاب في تعاملهم مع كتبهم المقدسة، من تشويه للحقائق، وتزيين للأباطيل، وذلك وفق النقاط التالية[2]:

أولاً: تحريفهم لكلام الله تعالىٰ: والتحريف هو صرف الكلام عن معناه الحقيقي، إلى معنى آخر، ثم إلقاؤه إلى العوام[3].

قال الله تعالىٰ: ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ۙ ﴾ [المائدة: ١٣].

ثانياً: تبديلهم اكلام الله تعالى، قال الله تعالىٰ: ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ [البقرة: 59]. [الأعراف: 162].

ثالثاً: تزوير الكتاب، وتأليفه، ثم الادعاء بأنه وحي الله تعالى لهم، ليأخذوا مقابله شيئاً من متاع الدنيا، يقول الله تعالىٰ: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ

---

(1) وانظر تفسير الآية: الجامع لأحكام القرآن (17/ 262). وتفسير القرآن العظيم (315/4).
(2) انظر: هل الكتاب المقدس كلام الله؟ (ص13) ومابعدها.
(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن (6/ 115).

يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: 79].

رابعاً: كتمان الحق، وتزييفه، ثم تلبيسه بالباطل، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 71]. وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 146].

خامساً: نبذ الكتاب، وإهماله، بمعنى عدم اتباعه، والعمل بما جاء فيه، اتباعاً للهوى، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 101].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: 187].

سادساً: إخفاء الكتاب، وبخاصة فيما يتعلق بالبشارات التي جاءت فيه مبشرة بالنبي محمد ﷺ، وبما يتعلق أيضاً بالأحكام الشرعية التي أنزلت عليهم، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [المائدة: 15].

سابعاً: الإيمان ببعض الكتاب، والكفر بالبعض الآخر: قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: 85].

ثامناً: لَيُّ الألسنة بالكتاب، ليحسبه الناس من الكتاب، وذلك بتحسين الصوت، وتنغيمه، على أن الكلام الذي يتلى هو وحي سماوي، وهو ليس كذلك في الحقيقة(1). قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

---

(1) انظر: تفسير المنار (3/ 344).

المبحث الثالث

الأخطاء العقائدية التي وقع فيها المسيحيون بعد المسيح كما صورها القرآن الكريم وردّ عليها

ويتضمن هذا المبحث المطالب التالية:

المطلب الأول

قضية الألوهية، وأخطاؤهم فيها: التثليث، تأليه المسيح، تأليه مريم[1]

عندما عُرِضَت النقاطُ السابقة تبين بوضوح حكم القرآن الكريم في أسس المسيحية الحقيقية، التي جاء بها المسيح ـ عليه السلام ـ، ودعا قومه إليها، تلك المسيحية الخالية من التحريف والتزييف، وليست المسيحية البشرية المنحولة، حيث أثبت القرآن الكريم بشرية المسيح ـ عليه السلام ـ، وأنه رسول مؤيد بوحي سماوي، وأنه دعا إلى عقيدة التوحيد.

وكذلك فقد قرر القرآن الكريم أن المسيح لم يقتل ولم يصلب، بل حفظه الله تعالى برفعه إليه.

وبالمقابل فقد رفض القرآن الكريم الصورة الثانية التي تعرضها المسيحيةُ البشريةُ المنحولةُ، وبخاصة فيما يتعلق بقضية التثليث، حيث عرض القرآن الكريم لهذه القضية، وبيّن زيفها، ودعا أصحابها دعوة منطقية بألا يغالوا في دينهم، ولا يشتطوا في عقائدهم، وأن يلتزموا جانب الحق والإيمان، وأن يحكّموا عقولهم في هذه القضية.

والآيات التي تحدثت عن قضية التثليث هي:

---

(1) انظر مفهوم عقيدة التثليث عند المسيحيين: المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحية (ص356) ومابعدها.

(1) ـ قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء: 171].

(2) ـ وقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

[المائدة: 73].

إن عقيدة التثليث هذه، والتي عرض القرآن الكريم صورتها عند المسيحيين، تزعم أن الله تعالى ثالث ثلاثة، وأنه ثلاثة (أقانيم)[1] متساوية: الآب، والابن، والروح القدس. والمسيح هو أحد هذه الأصول الثلاثة فهو إله ابن إله.

ثم يركز القرآن الكريم على نفي ورفض هذا العرض كله، وذلك بتفنيد تلك الدعوى الباطلة، عندما ناقش فكرة (الإله الابن)، أو حسب التعبير القرآني (ابن الله) أو (ولد الله)، حيث ورد لفظ (ابن الله) في القرآن الكريم في موضعين:

الأول: جاء على لسان اليهود، **والثاني**: جاء على لسان المسيحيين، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ﴾ [التوبة: 30].

وأما لفظ (ولد الله) فقد ورد في القرآن الكريم في سبعة عشر موضعاً[2] ومعه لفظ (ولد الرحمن).

وتُعتبر القاعدة الأساسية للحقيقة القرآنية في هذه القضية هي سورة الإخلاص، أو ماتسمى سورة التوحيد[3]. قال الله تعالىٰ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: 1ـ3]. حيث تنفي

---

(1) الأقانيم: ج: أُقْنُوم. وهو شخصٌ أو ذاتٌ مستقلة لوحدها. انظر: الله واحد أم ثالوث؟ (ص9). والرد على النصارى، للجعفري (ص35). والمسيح في مفهوم معاصر (ص10).

(2) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص763).

(3) انظر: أسماء سورة الإخلاص: هامش الترغيب والترهيب (2/ 386).

openikanda.com

هذه السورة مطلقاً أن يكون هناك أصل وَالِد لله تعالى، أو أن يكون هناك فرع مولود عن الله تعالى، فلا والد ولا ولد مطلقاً[1].

وكان الأسلوب الذي عرض فيه القرآن الكريم قضية نسبة الولد إلى حضرة الله تعالى، وردَّ عليها بالإبطال، وفق مايلي:

أولاً: إن القول بأن لله تعالىٰ ولداً، هو قول يشبه أقوال الأمم السابقة، قبل اليهود والنصارى، وما ادعاء اليهود والنصارى بأن لله تعالى ولداً إلا تقليد لأولئك السابقين، وما قولهم هذا إلا كلام تلفظت به ألسنتهم لا حقيقة له مطلقاً ولا يستند إلى دليل أبداً، قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: 30].

ثانياً: كان نفي القرآن الكريم للقول بأن لله تعالى ولداً، يجري دائماً مجرى التعظيم والتنزيه لله تعالىٰ، ومعه عرض قرآني رائع لخضوع كل الكون، بسماواته وأرضيه ومن فيهن لسلطة وملكوت الله سبحانه وتعالى.

وقد ورد هذا الأسلوب في الآيات التالية:

(1) ـ قول الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [البقرة: 116].

(2) ـ وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: 171].

(3) ـ وقوله تعالىٰ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 101].

(4) ـ وقوله تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: 111].

---

(1) انظر: تفسير سورة الإخلاص: الجامع لأحكام القرآن (20/ 244). وتفسير القرآن العظيم (4/ 570).

(5) ـ وقوله تعالىٰ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: 1ـ2].

(6) ـ وقوله تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [مريم: 34ـ35].

(7) ـ وقوله تعالىٰ: ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ [الجن: 3].

ثالثاً: إن الادعاء بأن لله تعالى ولداً هو ادعاء كاذب، ومحض افتراء، ولا يقوم أصلاً على دليل علمي، أو برهان عقلي، يقول الله تعالىٰ: ﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦٨ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [يونس: 68ـ69].

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: 4ـ5].

رابعاً: كان من أسلوب القرآن الكريم أيضاً في إثبات بطلان هذه الدعوى، أسلوب التحدي، الذي تمثل في شكل مجاراة المدعي في دعواه، ثم نقض تلك الدعوى من أصلها، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ [الزخرف: 81].

والمقصود هنا[1]: قل ـ يا أيها الرسول ـ: إن ثبت بالدليل القاطع أن لله تعالى ولداً، فأنا أول من يعبد هذا الولد. ولكن يستحيل أن يكون لله ولد.

وهذا كله مبالغة في استبعاد الأمر كلياً، أي: لا سبيل مطلقاً لمثل هذا الادعاء أو الاعتقاد.

وقد جاء هذا التحدي في صور أخرى، في قول الله تعالىٰ: ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ

---

(1) انظر تفسير الآية: الجامع لأحكام القرآن (16/ 119). ومفاتيح الغيب (27/ 229) ومابعدها.

obeikandl.com

وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[1] [الزمر: 4].

وقوله تعالىٰ: ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 17].

خامساً: ومن الأساليب التي سلكها القرآن الكريم في إبطال هذه الدعوى، أسلوب التصوير لبشاعة هذه الدعوى، وهي الادعاء بأن لله تعالىٰ ولداً، وهو ادعاء تهتز فرقاً لبشاعته وقبحه كل مخلوقات الكون، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: 88ـ93]. ثم يعرض القرآن الكريم قضية هي أعظم مما سبق، وأشد خطراً في موضوع العقيدة وهي ادعاء المسيحيين بأن الله تعالى هو المسيح عيسى ابن مريم ذاته، وليس هو ابن الله فقط ـ كما يقولون ـ قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: 17].

وقوله تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: 72].

ويرد القرآن الكريم على هذا الادعاء، ناقضاً إياه، وفق مايلي:

(أ) ـ يعرض القرآن الكريم نقطة مهمة، وفكرة واضحة في موضوع المحاجّة والإقناع، أنه من المستحيل في حق الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، أن يدعيَ واحد منهم لنفسه شيئاً من صفات الألوهية، وبخاصة بعد أن أرسله الله تعالى إلى الناس بشيراً ونذيراً، قال الله تعالىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 79ـ80].

---

(1) وانظر تفسير الآية: تفسير القرآن العظيم (4/ 45). ومفاتيح الغيب (26/ 242).

(ب) ـ يبين القرآن الكريم أن المسيح نفسه، وكل الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وكذلك كلُ الملائكة، وبخاصة المقربون منهم، لن يستكبروا، ولن يأنفوا أن يكونوا عباداً لله تعالىٰ، مهما بلغت منزلتهم، أو ارتقت درجتهم عند الله عز وجل، يقول الله تعالىٰ: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: 172].

(ج) ـ يركز القرآن الكريم على الخصائص البشرية في شخصية عيسى ـ عليه السلام ـ منذ لحظة ولادته إلى أن رفعه الله تعالى إليه، فقد سبق الوصف الكامل لكيفية ولادته، والعوارض التي عَرَضَتْ له في حياته، كإنسان له جسد يتأثر بكل ما يؤثر في الجسد ضمن إطار الحياة والموت.

وهذا كله يتنافى مع أية طبيعة إلهية، وقد ركّز القرآن الكريم تحديداً على قضية جسدية مهمة وأساسية، وهي موضوع الطعام في حياة الإنسان، وما يسبقه ويلحق به من عوارض تحيط به، من الجوع والعطش، ثم الأكل، ثم الحاجة إلى الإفراز لما طُعِمَ، وكل هذا يدل على المادية، ويستلزم بالضرورة الحاجة والفاقة، مما يتنافى مع الألوهية، حيث إنه من المعلوم بداهة أن من يحتاج إلى الطعام والشراب وغيره، هو ناقص في نفسه، ويسير بمعونة غيره، فهو ليس بإله غني، قائم بذاته، غير مخلوق، أو محتاج لأحد من خلقه.

وتلخص الآيات هذه الفكرة في قول الله تعالىٰ: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: 75].

(د) ـ إن قصة ولادة المسيح ـ عليه السلام ـ والتي تعتبر معجزة خارجة عن القوانين الطبيعية، وكذلك كل ماجاء به المسيح ـ عليه السلام ـ من معجزات وخوارق ظهرت على يديه، يستحيل اعتبارهما دليلين على ألوهية المسيح.

لأن موضوع ولادته غير العادي كان له مَثَلٌ سابق، وهذا المثلُ السابق يُعتبر أكثر غرابة، وبُعداً عن القوانين الطبيعية، وهو مثل آدم ـ عليه السلام ـ إذ خُلِق من دون أب وأم، على حين أن المسيح ـ عليه السلام ـ قد خلق من أم دون أب.

فلماذا لا يعتبر المسيحيون آدم ـ عليه السلام ـ إلهاً أيضاً، مثلَ حال المسيح ـ عليه السلام ـ؟ !. . . قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 59].

وآدم ـ عليه السلام ـ ورد في القرآن الكريم أنه من روح الله تعالى، كمثل المسيح ـ عليه السلام ـ، قال الله تعالىٰ: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: 71-72].

وهذا هو نفس المعنى الذي جاء في حق المسيح ـ عليه السلام ـ قال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 91].

وأما موضوع المعجزات التي ظهرت على يد المسيح ـ عليه السلام ـ فقد أوتي كل الأنبياء ـ عليهم السلام ـ معجزات شتى، تشبه معجزات المسيح ـ عليه السلام ـ وبعضها يفوق معجزاته ـ عليه السلام ـ وكلها خارقة للنواميس الكونية، والقوانين الطبيعية، وهذا أمر لا يمكن اعتباره دليلاً على ألوهية المسيح مطلقاً.

(هـ) ـ يبين الله تعالى في كتابه الكريم عبودية المسيح ـ عليه السلام ـ لله عز وجل، في أكثر من موضع، وكيف أنه كان دائم الدعوة إلى عبادة الله سبحانه، وإلى توحيده وتنزيهه عن كل نقص أو شريك، ولقد كانت أول كلمة نطق بها المسيح ـ عليه السلام ـ وهو في المهد صبياً، كلمة العبودية للحق سبحانه وتعالىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ [مريم: 29-31].

وفي موضع آخر يتحدث القرآن الكريم عن دعوة المسيح ـ عليه السلام ـ إلى التوحيد، وعبادة الله تعالى، فيقول: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: 72].

(و) ـ يصور القرآن الكريم مشهداً من مشاهد الآخرة، يعتذر المسيح ـ عليه السلام ـ عن نفسه، أمام كل التهم الباطلة التي ألصقها به من جاء من بعده، بادعائهم

openkandil.com

بأنه إله من دون الله عز وجل، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾

[المائدة: 116ـ117].

المطلب الثاني

قضية الصلب والفداء

تعتبر قضية الصلب والفداء من أهم عقائد المسيحيين، والتي تتلخص فيمايلي[1]:

يعتقد المسيحيون بأن هناك خطيئة ملازمة لكل إنسان يولد على هذه الأرض، وهذه الخطيئة موروثة منذ زمن آدم ـ عليه السلام ـ لأنه قد أخطأ في حق ربه عز وجل، فنزلت عليه العقوبة، فحمل آدم وزر الخطيئة، ثم حمّلها من بعده لكل ذريته، فكل إنسان لديه خطيئة يحملها دائماً، ولو أنه لم يخطىء في حياته قط.

وهذه الخطيئة المتوارَثة كان لابد من الانتهاء منها، فظهرت محبة الله تعالى الخالق للإنسان، في قضية الصلب والفداء، حيث أرسل الله تعالى ابنه الوحيد إلى البشرية، فتجسّد، ثم سلّم نفسه للصلب والقتل، وذلك فداء وتخليصاً لكل إنسان من الخطيئة الأصلية الموروثة، التي حمّله إياها أبوه آدم، فكان المسيح هو الفداء، ليطهِّر الإنسان، ويصالحه نهائياً مع الله، ويعيد إليه الحياة الأبدية[2].

ويرد القرآن الكريم على هذه الدعوى، ويبين زيفها وبطلانها من عدة وجوه، هي:

الوجه الأول: لايوجد مطلقاً في القرآن الكريم، أو أية عقيدة سماوية صحيحة

---

(1) انظر مفهوم الخطيئة الأصلية عند المسيحيين: المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحية (ص318ـ324ـ331).

(2) المرجع السابق (ص329).

ما يسمى (الخطيئة الأصلية الموروثة)، لأنه على فرض وجود هذه الخطيئة من قبل آدم أبي البشر ـ عليه السلام ـ وأنه لم يتب منها، فإنه يستحيل مطلقاً أن تُحمَّل هذه الخطيئة لذريته من بعده، أو لأي إنسان آخر مهما كانت صفته، لأن هذا التحميل يُعتبر ظلماً واضحاً، وحاشا للخالق سبحانه وتعالى أن يظلم أحداً من خلقه، وهو أعدل الحاكمين.

ويؤكد القرآن الكريم في كل مناسبة أن كل إنسان هو المسؤول عن كل عمل قام به بنفسه وحده، ولايمكن البتّة أن يتحمل غيره أخطاءه التي وقع فيها، قال الله تعالىٰ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر: 38]. وقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الإسراء: 15]. وقوله تعالىٰ: ﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: 21]. وقوله تعالىٰ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: 286]. وقوله تعالىٰ: ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ﴾ [إبراهيم: 51]. وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾ [النساء: 111]. وقوله تعالىٰ: ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ [الإسراء: 13].

الوجه الثاني: إن القول بوجود الخطيئة الأصلية، التي تسبب بها آدم ـ عليه السلام ـ قول ينفيه الوحي الإلهي، حيث بين القرآن الكريم كيف أكرم الله تعالى آدم ـ عليه السلام ـ، وكيف أمر الملائكة بأن يسجدوا له سجود الإجلال والاحترام، وكيف علمه الله تعالى الأسماء كلها، ثم أسكنه جنته، ومعه زوجه، وكيف أنه نسي، ولم يكن له عزم، فأخطأ، وأكل من الشجرة، ثم تاب من خطيئته، واعترف بذنبه، وأناب إلى ربه، فقبل الله تعالى توبته، وغفر له خطيئته وقد وضّح القرآن الكريم كل ذلك في موضعين:

الأول: قال الله تعالىٰ: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: 35ـ37].

الثاني: قول الله تعالىٰ: ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه: 121ـ122].

obeikandl.com

وقد بيّن القرآن الكريم أن الله تعالى اصطفى آدم ـ عليه السلام ـ وأكرمه هو وطائفة من ذريته، وفضله على العالمين، قال الله تعالىٰ: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: 33].

وإضافة إلى هذا التكريم فلقد كرم الله تعالى كل بني آدم، وفضلهم على كثير من مخلوقاته، وسخر لهم مافي السموات ومافي الأرض، قال الله تعالىٰ: ﴿ ۞وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾ [الإسراء: 70].

وبناء على ماسبق يمكن التساؤل: من أين أتت تلك الخطيئة التي يتحملها كل إنسان؟ ! . . .

الوجه الثالث: ينفي القرآن الكريم قصة الصلب، أو القتل بالنسبة للسيد المسيح ـ عليه السلام ـ ويؤكد نقطة مهمة، وهي أن هناك حادثةَ صلبٍ قد وقعت ولكن المصلوب ليس هو المسيح ابن مريم، وإنما هو شخص آخر، قد وقع عليه الشبه[1].

أما المسيح ـ عليه السلام ـ فقد رفعه الله إليه، حفظاً وتكريماً، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ١٥٦ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: 156ـ158].

المطلب الثالث

قضية الروح القدس

يَعتبر المسيحيون أن الروح القدس، وهو المَلَك جبريل ـ عليه السلام ـ هو ثالث الأقانيم التي تمثل الإله عندهم: الآب، الابن، الروح القدس[2].

---

(1) انظر توضيح هذه النقطة: (ص83) من هذا الكتاب.

(2) انظر مفهوم الروح القدس عند المسيحيين: المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحية (ص264).

obeikandl.com

ولقد سبق الحديث حول مفهوم الإضافة في كلمة (روح الله) أو (كلمة الله)[1].

وهنا أيضاً لابد من التوضيح، حيث إن الإضافات لله تعالى نوعان[2]:

(أ) **إضافة صفة**: وهي إضافة صفة لله تعالى قائمة بذاته عز وجل، وليست مخلوقاً من مخلوقاته، ومنها أسماء الله تعالى، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: 58]. وقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: 15].

(ب) **إضافة عين (ذات)**: أي إضافة مخلوق من مخلوقات الله تعالى إليه، وهذه الإضافة لأجل التفضيل والتكريم والتشريف، كما خص الله تعالى ناقة صالح ـ عليه السلام ـ من بين النوق كلها بالإضافة إليه، بقوله الكريم: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [الشمس: 13]. وكما خص الله تعالى البيت الحرام من بين بيوت مكة بالإضافة إليه، قال الله تعالىٰ: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [البقرة: 125]. وكما خص الله تعالى عباده الصالحين من بين الخلق كلهم بالإضافة إليه، قال الله تعالىٰ: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: 6].

ومن هذا الباب جاء قول الله تعالىٰ: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم: 17].

وهو جبريل الأمين ـ عليه السلام ـ فاستعاذت مريم ـ عليها السلام ـ بالله تعالى منه، إن كان تقياً، بعد أن تمثل لها بشراً سوياً، فبيَّن لها حقيقته، قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ [مريم: 19].

ولقد ورد اسم الروح القدس في القرآن الكريم في عشرة مواضع، حيث ذُكر في ثلاثة مواضع: [مريم: 17، الأنبياء: 91، التحريم: 12]. بأنه ـ أي جبريل ـ هو الروح الذي تمثَّل للعذراء مريم ـ عليها السلام ـ.

وذكره الله تعالى بأنه أرسله إلى المسيح ـ عليه السلام ـ مؤيداً له، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: 87].

---

(1) انظر مفهوم الإضافة لحضرة الله تعالىٰ (ص79) من هذا الكتاب.

(2) انظر: مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص438).

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: 253].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [المائدة: 110].

وبالمقابل فقد ذكر القرآن الكريم أن الروح القدس قد نزل أيضاً على النبي محمد ﷺ موحياً إليه القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 102].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [البقرة 97]. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: 192ـ194].

إذاً فجبريل، الروح القدس ـ عليه السلام ـ هو واحد من الملائكة الذين يعملون بأمر الله تعالى، وهو عبد لله عز وجل، ولن يستكبر عن عبادة ربه تعالى. قال الله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: 172].

وقد وصف الله تعالى الملائكة بقوله الكريم: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ۝٢٨ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 26ـ29].

المطلب الرابع

قضية اتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله تعالى

القضية هنا متصلة بربوبية الطاعة والاتباع، لا ربوبية العبودية والعقيدة، وقد كان للأحبار والرهبان تأثير كبير على الناس في أفكارهم ومعتقداتهم، حيث أقاموا الحواجز بينهم وبين الدعوة إلى الله تعالى، ويعتبرون أنفسهم واسطة بين الخلق

obeikandl.com

والخالق سبحانه وتعالىٰ[1]. قال الله تعالىٰ عن المسيحيين: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: 31].

وقد فسّر الرسول الكريم ﷺ هذه العبودية لعدي بن حاتم الطائي، عندما أجاب النبي ﷺ بقوله: «إنهم لم يعبدوهم». فقال النبي ﷺ: «بلى إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم»[2].

وقد جاء نص الإنجيل الحالي مطابقاً لهذا المفهوم، بقوله: «وأنا أقول لك أيضاً، أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات، وكل ما تَحِلُّه على الأرض يكون محلولاً في السموات»[3].

هذه هي الصورة الإجمالية لكل ما يتعلق بالمسيحية، وعقيدتها، ونبيها، ودعوته، وأتباعه، وقد رسمها القرآن الكريم، واضحة جليّة.

حيثُ عُرضت خصائصُ المسيحية الحقيقية، التي جاء بها المسيح ـ عليه السلام ـ ثم عرضت الرد والإبطال لكل الدعاوى بالمنهج القرآني. وهذا كله يعطي الباحث شكلاً واضحاً للحوار الإسلامي المسيحي، وفق منهج القرآن الكريم.

ثم بعد هذا لابد من الوقوف على موقف السنة النبوية المطهرة من المسيحية والمسيحيين، وهذا ما سيتم عرضه في الفصل الثاني من هذا الباب.

* * *

(1) انظر: الحوار في القرآن (ص128).
(2) رواه الترمذي في سننه (5/ 278).
(3) العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح(16)، الفقرة (19).

الفصل الثاني

موقف السنة النبوية من المسيحية والمسيحيين

يضم هذا الفصل ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: لقاءات النبي ﷺ مع المسيحيين، ولقاءات الصحابة في عصر النبي ﷺ مع المسيحيين، ودلالات هذه اللقاءات.

المبحث الثاني: الرسائل المتبادلة بين النبي ﷺ وبين المسيحيين، ودلالاتها.

المبحث الثالث: الأحاديث التي تكلم بها النبي ﷺ عن المسيحية، والمسيح، ودلالاتها.

المبحث الأول

لقاءات النبي مع المسيحيين، ولقاءات الصحابة في عصر النبي مع المسيحيين، ودلالات هذه اللقاءات

لقد كان للمسلمين في العهد النبوي كثير من اللقاءات مع المسيحيين، سواء أكانت هذه اللقاءات بين النبي ﷺ وبين المسيحيين، أم كانت بين الصحابة وبين المسيحيين، ولكن ضمن التوجيهات النبوية.

ويتمثل هذا كله في ثلاثة مطالب، هي:

obeikandl.com

المطلب الأول

لقاءات النبي ﷺ مع المسيحيين، ودلالاتها

أولاً: لقاء النبي ﷺ مع ورقة بن نوفل[1].

يعتبر ورقة بن نوفل واحداً من أربعة نفر فارقوا دين قريش[2]، وصار كل واحد منهم يبحث عن دين يعتنقه، فكان ورقة بن نوفل ممن استحكم في المسيحية، وصار علماً من أعلام أهل الكتاب، في منطقة مكة المكرمة.

ولما نزل الوحي على النبي ﷺ ذهبت خديجة زوجه ﷺ إلى ورقة وكان ابن عمها، فأخبرته الخبر، فقال ورقة: قُدُّوس قدوس، والذي نفس ورقة بيده لئن صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، وإنه لنبي هذه الأمة. فقولي له: فليثبت.

فرجعت خديجة إلى النبي ﷺ فأخبرته بقول ورقة بن نوفل.

ولما عاد النبي ﷺ من اعتكافه ثانية من غار حراء صنع كما كان يصنع، فبدأ بالكعبة فطاف بها، فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف، فقال: ياابن أخي، أخبرني بما رأيت وسمعت. فأخبره النبي ﷺ. فقال له ورقة: والذي نفسي بيده، إنك لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى، ولتُكذّبَنَّهُ، ولتُخرجَنَّهُ، ولتُقاتلَنَّهُ، ولئن أدركتُ ذلك اليوم لأنصرنَ الله نصراً يعلمه. ثم أدنى رأسه، فقبل يافوخه، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله[3].

وفي رواية البخاري: (فانطلقت به خديجة [أي النبي ﷺ] حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، ابن عم خديجة، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان

---

(1) انظر ترجمته: السيرة النبوية (1-191/2-222)، وله شعر جيد. والإصابة في تمييز الصحابة (597/3).

(2) انظر أسماءهم: السيرة النبوية (1-223/2).

(3) انظر: السيرة النبوية (1-238/2).

obeikandl.com

يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي. فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره النبي ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال النبي ﷺ: أوَمُخرِجيَّ هُم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشب ورقة أن توفي)[1].

وقد اختلف في شأن ورقة بن نوفل، هل هو صحابي أم لا[2]؟ ولكن من مجمل الروايات يمكن الاستنتاج أن ورقة قد صدّق النبي ﷺ فيما جاء به، وتمنى لو أنه تمتد به الحياة ليكون مؤازراً وناصراً للنبي ﷺ في دعوته، إلا أنه توفي قبل أن يجهر الرسول ﷺ بها.

وقد وردت عدة أحاديث عن فضل ورقة بن نوفل، ومقامه عند الله تعالى في الدار الآخرة، من ذلك قول النبي ﷺ: «أُريته في المنام [يعني ورقة]، وعليه ثياب بياض، ولو كان من أهل النار لكان عليه لباس غير ذلك»[3].

وقوله ﷺ: «لا تسبُّوا ورقة، فإني رأيت له جنة أو جنتين»[4].

إن هذا اللقاء الأول بين النبي ﷺ وأحد رجال الدين من أهل الكتاب ذو دلالة خاصة جداً، وهي أن هذا الإنسان العالِم بالكتب السماوية السابقة، كان المصدِّق الأول لرسالة النبي ﷺ، وكان المهدىء الأول لروع النبي الكريم، والموضح لحقيقة الوحي الذي نزل عليه ﷺ ثم صدّق بالنبي الكريم ﷺ ودعاه إلى الثبات على ماجاءه من الحق، وتمنى أن يعيش طويلاً ليناصر الرسول الكريم ﷺ وتنبأ له بمحاربة قريش إياه، وبإخراجهم له من بين أظهرهم.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه (7/1).

(2) انظر: الإصابة (598/3).

(3) أخرجه الترمذي (540/4).

(4) أخرجه الحاكم في المستدرك (609/2).

ولعلّ الله تعالى قد جعل ورقة بن نوفل الأنموذج الأول لكل المسيحيين ليقتدوا به، ويسيروا على نهجه، حيث إنه ـ أي ورقة ـ لم يكتم العلم الذي عنده، ولم يستكبر على دعوة النبي ﷺ ولم تأنف نفسه وهو الشيخ الهَرِم من التصديق والإيمان بنبيٍّ، هو بالنسبة إليه في مثل سن أولاده، بل صدَّق بالرسول ﷺ، وآمن به وأكدَّ له أن الله تعالى قد أرسل إليه وحيه بواسطة الملك جبريل ـ عليه السلام ـ كما أرسله سابقاً إلى موسى ـ عليه السلام ـ.

في هذه الصورة الأولى للقاء النبي ﷺ مع المسيحيين لم يكن أي حوار، سوى سؤال وجواب حول الوحي الذي أتى النبيَّ ﷺ ولم يكن عند النبي أي علم به، فكان ورقة الشارح لحقيقته، والموضح لهدفه.

ثانياً: لقاء النبي ﷺ مع وفد نصارى نجران:

قدِم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى، وكان ذلك في السنة السابعة للبعثة تقريباً حين بلغهم خبره، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألة النبي ﷺ عما أرادوا، دعاهم الرسول إلى الله عز وجل، وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوه، فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره.

فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش، فقالوا لهم: خيّبكم الله من ركب ! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده، حتى فارقتم دينكم وصدّقتموه بما قال، ما نعلم ركباً أحمق منكم. فقالوا لهم: سلام عليكم، لا نجاهلكم، لنا ما نحن فيه، ولكم ما أنتم فيه، لم نألُ أنفسنا خيراً[1].

فأنزل الله تعالى فيهم قوله[2]: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا

---

(1) انظر: السيرة النبوية (1-292/2). وهداية الحيارى (ص33).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن (296/13). وتفسير القرآن العظيم (394/3).

obeikandl.com

يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[1][القصص: 52-55] .

ثالثاً: لقاء النبي ﷺ مع العبد النصراني عدّاس[2]:

كان ذلك اللقاء عقيب خروج النبي ﷺ من الطائف ورَفْضِ أهلها الإيمان، وقد آذوه وأَدْمَوْهُ، فآوى إلى بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة، فأعطوا عبداً نصرانياً لهم اسمه عدّاس عِنباً ليقدمه للرسول ﷺ فأقبل إليه ووضعه بين يديه، فمدَّ الرسول الكريم ﷺ يده، وقال: بسم الله. ثم أكل، فنظر عدّاس في وجهه، ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد: فقال له الرسول ﷺ: ومن أهل أي البلاد أنت يا عدَّاس، وما دينك؟ قال: نصراني، وأنا رجل من نَيْنَوىٰ. فقال له الرسول ﷺ: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى. فقال عدّاس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال الرسول: ذاك أخي، وكان نبياً وأنا نبي. فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه، وأسلم على يدي الرسول ﷺ، فلما عاد إلى ابني ربيعة، قالا له: ويلك يا عداس! مالك تُقبل هذا الرجل ويديه وقدميه؟

قال: ياسيدي، ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي[3].

رابعاً: لقاء النبي ﷺ مع الجارود بن عمرو:

وهو من بني عبد القيس، وكان ذلك اللقاء في عام الوفود في السنة السادسة للهجرة، وكان زعيماً لقومه يعتنق النصرانية، فعرض عليه الرسول ﷺ الإسلام، ودعاه إليه، ورغبه فيه، فقال الجارود: إن لي ديناً فلي إن تركت ديني، ودخلت في

---

(1) وانظر سبب النزول: جامع البيان (56/20).

(2) انظر ترجمته: الإصابة (459/2). والمغازي للواقدي (1/33-35).

(3) انظر: السيرة النبوية(1-421/2). وتاريخ الرسل والملوك (554/1).

obeikandl.com

دينك ألا يعذبني الله؟ فقال الرسول ﷺ: نعم. فأسلم، وحسن إسلامه، وفرح به الرسول ﷺ وأدناه[1].

خامساً: لقاء النبي ﷺ مع وفد نصارى نجران:

وكان ذلك اللقاء في عام الوفود في المدينة المنورة، ولأهمية هذا اللقاء لابد من ذكر حوادثه كاملة:

كان مقدم هذا الوفد إلى المدينة إثر الكتاب الذي وجهه الرسول ﷺ إلى نصارى نجران، يدعوهم فيه إلى الإسلام، وسيأتي ـ إن شاء الله ـ في مبحث الرسائل النبوية.

وقد تألف الوفد من ستين راكباً، منهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، ويؤول أمرهم جميعاً إلى ثلاثة هم: العاقب واسمه عبد المسيح، وكان صاحب أمرهم ومشورتهم.

والثاني الأيهم السيد، وكان صاحب رحلهم. والثالث أبو حارثة بن علقمة، وكان أسقفهم وحبرهم وصاحب مدارسهم. وكانت له منزلة عند الروم، فقد درس كتب النصرانية حتى صار عَلَماً بها، فأكرمه ملوك الروم، وشرفوه، وأرسلوا له بالمال والهدايا، وبنوا له الكنائس.

ويروى أن أبا حارثة كان يعظِّم النبي ﷺ ظاهراً وباطناً، فقد كان إلى جانبه في أثناء سفره إلى المدينة أخ له اسمه كُوز بن علقمة[2]، فعثرت دابة أبي حارثة، فقال له كوز: تعس الأبعد. ـ يريد رسول الله ﷺ، فقال أبو حارثة: بل أنت تعست! قال: لِمَ يا أخي؟ قال: والله، إنه للنبي الذي كنا ننتظر. فقال له كوز: وما يمنعك منه، وأنت تعلم هذا؟ قال: ما صنع بنا هؤلاء القوم، شرَّفونا، ومولونا، وأكرمونا، وقد أبَوا إلا خِلافه، فلو فعلتُ نزعوا منا كلَّ ما ترى. فأضمرها كوز في نفسه حتى أسلم، فكان يحدث بهذا الحديث[3].

---

(1) انظر: السيرة النبوية (3-575/4). والإصابة (213/1). وتاريخ الرسل (199/2).
(2) اسمه عند ابن سعد في الطبقات (كُرز بن علقمة)، انظر: الطبقات (357/1).
(3) انظر: السيرة النبوية (1-574/2).

obeikandi.com

ثم نزل الوفد في مسجد النبي ﷺ فلما حان وقت صلاتهم قاموا متوجهين إلى الشرق، ليصلوا صلاتهم، فقام الصحابة لمنعهم، فنهاهم الرسول ﷺ وتركهم يصلون في طمأنينة[1].

واجتمع أحبار اليهود مع زعماء الوفد المسيحي في المسجد، وتجادلوا بينهم، فقال رافع بن حرملة اليهودي: ما أنتم على شيء. وكفر بعيسى والإنجيل. فرد عليه رجل من النصارى: ما أنتم على شيء. وجحد نبوة موسى، وكفر بالتوراة.

فنزل قول الله تعالى[2]: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: 113].

ثم تجادلوا أيضاً في شأن إبراهيم ـ عليه السلام ـ فقال الأحبار: ماكان إبراهيم إلا يهودياً. وقالت النصارى: ماكان إبراهيم إلا نصرانياً. فنزل قول الله تعالى[3]: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: 65ـ67].

ثم توجهوا إلى النبي ﷺ وادّعوا عليه قولهم ـ على لسان أحد أحبارهم ـ وهو أبو رافع القُرظي: «أتريدُ منا يا محمد، أن نعبدَك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟». فقال رجلٌ من أهل نجران، واسمه الرِبيِّس: «أوذاك تريد منا يامحمد، وإليه تدعونا؟!». فقال رسول الله ﷺ: «معاذَ الله، أن أعبد غير الله، أو آمر بعبادة غيره، فما بعثني بذلك الله، ولا أمرني»[4].

فأنزل الله تعالىٰ قوله: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ

---

(1) انظر: المرجع السابق (1-574/2).
(2) انظر: المرجع السابق (1-549/2). وانظر: لباب النقول (ص24).
(3) انظر: السيرة النبوية (1-553/2). ولباب النقول (ص56).
(4) انظر: السيرة النبوية (1-554/2) ولباب النقول (ص58).

لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۝٧٩ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 79ـ80].

وبدأ الوفد المسيحي بمجادلة النبي ﷺ حول شخصية المسيح عيسى ـ عليه السلام ـ فقالوا: هو الله؛ ـ سبحانه وتعالى ـ، وقالوا: هو ابن الله؛ ـ سبحانه وتعالى ـ، وقالوا: ثالث ثلاثة. فتوجه النبي ﷺ بحديثه إلى حَبرين منهما بقوله: أسلما؛ قالا: أسلمنا؛ قال: إنكما لم تسلما، فأسلما؛ قالا: بلى، قد أسلمنا قبلك؛ قال: كذبتما، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير. قالا: فمن أبوه يامحمد؟ فصمت رسول الله ﷺ فلم يجبهما[1] ولم يجادلهم الرسول لأنه علم أنهم معاندون لا يريدون الحق.

ونزلت في هذا الحوار سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها[2]. وكان ضمن هذه الآيات آية المُباهلة، وهي قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٦٠ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: 60ـ61].

ولما يئس النبي ﷺ من إسلامهم، دعاهم إلى المُباهلة ـ وهي الملاعنة ـ، فقالوا: يا أبا القاسم، دعنا ننظر في أمرنا، ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه. فانصرفوا عنه، ثم خَلَوا بالعاقب، وكان ذا رأيهم فقالوا: ياعبد المسيح، ماذا ترى؟ فقال: واللهِ، يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لنبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم [أي المسيح]، ولقد علمتم مالاَعَن قوم نبياً قط فبقي كبيرهم، ولا نبت صغيرهم، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلفَ دينكم، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فَوَادِعُوا الرجلَ، ثم انصرفوا إلى بلادكم[3]. فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، قد رأينا أن

---

(1) انظر: السيرة النبوية (1-575/2) ومابعدها.

(2) انظر: لباب النقول (ص53). وتفسير القرآن العظيم (343/1). والجامع لأحكام القرآن (4/4).

(3) انظر: السيرة النبوية (1-583/2).

obeikandl.com

لا نلاعنك، وأن نتركك على دينك، ونرجع على ديننا، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا، يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا، فإنكم عندنا رِضاً[1] فصالحوا النبي ﷺ، وكتب لهم عهداً وأماناً على أنفسهم وأرضهم وأموالهم ودينهم، وأشهد على ذلك شهوداً[2]. ثم رجعوا إلى بلادهم، فلم يلبث السيد والعاقب إلا يسيراً حتى رجعا إلى النبي ﷺ فأسلما، وأنزلهما في دار أبي أيوب الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ[3].

سادساً: لقاء النبي ﷺ مع عدي بن حاتم الطائي[4]:

كان عدي بن حاتم ملكاً على قومه، يدين بالنصرانية، ويسير بأخذ المرباع[5] في قومه، وهرب بأهله عندما وصلت جيوش النبي ﷺ إلى طيء، وخلّف أختاً له فأُسرت، فلما قدموا بها المدينة، مَنَّ عليها رسول الله ﷺ بالإعتاق، ووصلها بنفقة، فأتت أخاها في الشام، فنصحته بالقدوم على الرسول ﷺ، وكان عدي يقول: «ما من رجل من العرب أشد كراهية لرسول الله حين سمع به مني»[6].

فخرج عدي حتى قدم مسجد النبي ﷺ فدخله وسلَّم عليه، فقال الرسول ﷺ من الرجل؟ فقلت عدي بن حاتم فقام ﷺ فانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لَعامِدٌ بي إليه، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة، فاستوقفته فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها؛ فقلت في نفسي: والله ما هذا بملك! ثم مضى بي إلى بيته، حتى إذا دخله، تناول وسادة من أُدم محشوة ليفاً، فقذفها إليَّ، وقال: اجلس على هذه؛ قلت: بل أنت فاجلس عليها؛ فقال: بل أنت. فجلست عليها، وجلس رسول الله ﷺ على الأرض؛ فقلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك.

---

(1) انظر: المرجع السابق (1-584/2).
(2) انظر: نص العهد في التمهيد من هذا البحث (ص31-34).
(3) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (358/1).
(4) انظر ترجمته: الإصابة (460/2).
(5) المرباع: أخذ الربع من الغنيمة. انظر: القاموس المحيط (3/ 25).
(6) السيرة النبوية (587/ 4ـ3).

ثم قال: إيه يا عدي بن حاتم الطائي، أسلم تسلم. فقلت: إني على دين. قال: أنا أعلم بدينك منك، ألم تَكُ رَكوسياً؟ [طائفة مسيحية كان أصلها بالشام قريبن من الصابئة] قلت: بلى. قال: أولم تكن تسير في قومك بالمرباع؟ قلت: بلى. قال: فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك؛ قلت: أجل والله. وعرفت أنه نبي مرسل، يعلم ما يُجهل؛ ثم قال الرسول ﷺ: لعلك يا عدي، إنما يمنعك من دخول هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكن أن يفيض المال فيهم حتى لا يوجد من يأخذه؛ ولعلك إنما يمنعك من دخولٍ فيه ما ترى من كثرة عدوهم، وقلة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت، لا تخاف؛ ولعلك إنما يمنعك من دخولٍ فيه أنك ترى أن المُلك والسلطان في غيرهم، وايم الله، ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت لهم. قال عدي: فأسلمت[1].

وفي رواية الترمذي، أن عدي بن حاتم قدم على النبي ﷺ وجلس بين يديه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «ما يُفَرِّك[2] أن تقول: لا إله إلا الله. فهل تعلم من إله سوى الله؟ قلت: لا. قال: ثم تكلم ساعة ثم قال: إنما تَفِرُّ أن تقول: الله أكبر ؟. وتعلم أن شيئاً أكبر من الله؟ قال: قلت: لا. قال: فإن اليهود مغضوب عليهم، وإن النصارى ضلال. قال: قلت: فإني جئت مسلماً، فرأيت وجهه تبسّط فرحاً»[3].

الدلالات التي يمكن استخلاصها من هذه اللقاءات:

(1) ـ كانت نتيجة تلك اللقاءات الستة إسلام الذين التقاهم النبي ﷺ، وعرض عليهم دعوته، إلا وفد نصارى نجران في المدينة المنورة، فلم يسلم منهم إلا بعض زعمائهم فقط.

---

(1) انظر: السيرة النبوية(3-580/4). والطبقات الكبرى لابن سعد (322/1).

(2) يُفَرِّك: ما يحملك على الفرار. انظر: القاموس المحيط (109/2).

(3) رواه الترمذي في سننه (203/5).

(2) ـ إن أول إنسان صدّق النبي ﷺ، وآمن به، هو أحد علماء أهل الكتاب المسيحيين، وهو ورقة بن نوفل.

(3) ـ ظهور الأدب النبوي الرفيع في معاملة المسيحيين، وسعة حلمه، وذلك بسماح النبي ﷺ ـ للوفد المسيحي ـ نصارى نجران بالصلاة في مسجده الشريف.

(4) ـ أثر أخلاق الرسول ﷺ في إيصال نور الإسلام، وجمال دعوته، إلى قلوب الآخرين. (تواضعه ﷺ الذي أثار عدي في لقائه معه).

(5) ـ التزام النبي ﷺ بمنهج القرآن الكريم، في كل ما يتعلق بالمسيحية.

(6) ـ إعراض النبي ﷺ عن الدخول في الجدال العقيم، الذي خاض فيه اليهود والنصارى أمامه، بل إنه ﷺ فضّل الصمت عندما وصل الحوار معهم إلى طريق مسدودة.

(7) ـ الخوف على المكتسبات المادية، من مال وجاه وسلطان، غالباً ما يكون عقبة في وجه الحق، ويمنع الإنسان من الإذعان إليه. (قول أبي حارثة. من نجران: شرَّفونا، ومولونا، وأكرمونا).

(8) ـ عند دخول الإيمان إلى القلوب لا يلتفت صاحبه إلى الاعتراضات الباطلة البعيدة عن العقل، مثل عدم التفات نصارى نجران في مكة، إلى اعتراضات أبي جهل عليهم، وكذلك عدم التفات عداس النصراني في الطائف إلى أسياده ابني ربيعة.

(9) ـ الحذر من الانحراف في الحوارات عن المنهج الصحيح، وذلك بتوضيح النبي ﷺ للحقائق التي أراد أهل الكتاب أن يلبّسوها عليه، وعلى دعوته، وذلك بجوابه على من قال له: أتريد منا يا محمد أن نعبدك... فقال ﷺ: معاذ الله...

(10) ـ استخدام النبي ﷺ للأسلوب العقلي في حواره مع المسيحيين، من ذلك قوله لعدي: هل تعلم من إله سوى الله؟. وقوله: وتعلم شيئاً أكبر من الله؟.

(11) ـ استخدام النبي ﷺ لأسلوب الترغيب، للدخول في الإسلام، كترغيبه لعدي بأن الله تعالى سينصر الإسلام، ويعزّ المسلمين.

المطلب الثاني

اللقاءات بين الصحابة الكرام والمسيحيين بناء على توجيهات النبي ﷺ، ودلالاتها

لقاء الصحابة الذين هاجروا إلى الحبشة مع ملكها ودلالاته:

كان هذا اللقاء ضمن توجيهات النبي ﷺ حيث أمر المسلمين المستضعفين بالهجرة إلى الحبشة، لأجل التخلص من شدة العذاب الذي كانت قريش تصبه على المسلمين، وكان ذلك الأمر في السنة الخامسة للبعثة، بقوله ﷺ: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يُظلَمْ عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه»[1].

ولابد من ذكر هذه الهجرة بتفاصيلها لما لها من دلالات كثيرة، ومؤثرة في قضية الحوار الإسلامي المسيحي.

كانت الهجرة إلى الحبشة على قسمين: الهجرة الأولى، وكانت في شهر رجب من السنة الخامسة للبعثة، حيث كان أميرها عثمان بن مظعون ـ رضي الله عنه ـ وكان عدد المهاجرين أحد عشر رجلاً، وأربع نسوة، فمكثوا في الحبشة حتى شهر شوال من نفس السنة[2].

وأما الهجرة الثانية فكان قوامها ثلاثة وثمانين رجلاً، بالإضافة إلى النساء والأبناء[3]، وكان أميرها جعفر بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ[4].

وأرسلت قريش إلى النجاشي ملك الحبشة[5]، رجلين بهدايا له ولبطارقته، ليرد

---

(1) السيرة النبوية (1-2/322).

(2) انظر: الكامل في التاريخ (52/2).

(3) انظر: السيرة النبوية (1-2/330). وانظر الكامل في التاريخ (53/2).

(4) المرجع السابق.

(5) انظر ترجمته: الإصابة (117/1).

عليهم من خرج من قومهم من المسلمين، وهما عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص[1]، فلما وصلا دفعا بالهدايا إلى البطارقة، ثم إلى النجاشي، وكان الحوار التالي:

«قال رسولا قريش: أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا أشراف قومنا من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم، لتردَّهم إليهم، فهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم، وعاتبوهم فيه». تقول أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ التي روت الحديث: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، من أن يسمع كلامهم النجاشي.

وغضب النجاشي، وقال: «لا هالله، إذن لا أسلمهم إليهما، ولا يكاد قوم جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذا في أمرهم، فإن كانو كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنت جوارهم ما جاوروني»[2].

ثم دعا النجاشي المسلمين إليه، وجلس حوله أساقفته، ونشروا مصاحفهم [أناجيلهم]، ثم قال: «ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني، ولا في دين أحد من المِلل؟». فتكلمُ جعفر بنٌ أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فقال: «أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، ولا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.

---

(1) السيرة النبوية (1-2/332).

(2) السيرة النبوية (1-2/335).

فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا، فعدا علينا قومنا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك؛ ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك، أيها الملك»[1]. فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قال جعفر: نعم. فقال له النجاشي: فاقرأه عليّ. فقرأ عليه جعفر صدراً من سورة مريم، فبكى النجاشي حتى اخضلّت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: «إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يُكادون»[2].

وقد أنزل الله تعالى في هذه الواقعة قوله الكريم[3]: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: 82-83].

ولم يتراجع وفد قريش، بل أعاد الكرة، فقال عمرو: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً، فأرسلْ إليهم فسلهم عما يقولون فيه.

فأرسل إليهم النجاشي، فسألهم عن قولهم في عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ فقال جعفر: «نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ، يقول: هو عبد الله، ورسوله، وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول». فضرب النجاشي بيده إلى الأرض، فأخذ منها عوداً، ثم قال: والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلتَ هذا العود. ثم قال: اذهبوا فأنتم شُيومٌ بأرضي [والشيوم: الآمنون] من سبّكم غرم، من سبكم

---

(1) المرجع السابق (1-336/2).
(2) المرجع السابق (1-336/2).
(3) انظر: لباب النقول (ص110).

غرم، من سبكم غرم؛ ما أحب أن لي دَبَراً [جبلاً] من ذهب، وأني آذيت رجلاً منكم، رُدّوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها»(1).

ومكث المسلمون في حماية النجاشي حتى السنة السابعة للهجرة، فرجعوا إلى المدينة بعد فتح خيبر(2).

وقد كان بين النجاشي وبني النبي ﷺ في تلك الفترة مراسلة، وهدايا.

رُوي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النجاشي أهدى إلى النبي ﷺ حلية فيها خاتم من ذهب، فأخذه، وإنه لمعرض عنه، فأرسل به إلى ابنة ابنته زينب، وقال: «تحلّي بهذا يابنة»(3).

وروي عن عمر بن سعد ـ رضي الله عنه ـ أن النجاشي بعث إلى النبي ﷺ ثلاثَ عَنَزات [العَنَزَة: عصا في قدر رمح](4)، فأمسك النبي ﷺ لنفسه واحدة، وأعطى علياً واحدة، وعمر واحدة، فكان بلال يمشي بتلك العَنَزة التي أمسكها النبي ﷺ لنفسه، بين يديه في العيدين، حتى يأتي المصلى فَيَرْكُزُهَا بين يديه، فيصلي إليها»(5).

وقد بادل النبي ﷺ النجاشي بمثل تلك الهدايا؛ روت أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال لي النبي ﷺ: «إني قد أهديت إلى النجاشي أواقي من مسك وحلّة، وإني لا أُراه إلا قد مات، ولا أرى الهدية التي أهديت إليه إلا سترد إليَّ، فإن رُدّت إليَّ فهي لك. قالت: فكان كما قال النبي ﷺ، مات النجاشي، وردّت إليه هديته، فأعطى كل امرأة من نسائه أوقية من مسك، وأعطى سائره أم سلمة، وأعطاها الحُلَّة(6).

وقد أرسل النبي ﷺ مع سفيره إلى النجاشي، عمرو بن أمية رسالتين، الأولى: تتعلق بدعوته إلى الإسلام، ـ وستأتي في مبحث الرسائل ـ، والثانية: فيها توكيل

---

(1) السيرة النبوية (1-2/350).
(2) المرجع السابق.
(3) المرجع السابق (1-2/359).
(4) انظر لسان العرب (424/9).
(5) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (236/3).
(6) انظر: المرجع السابق (95/8).

النبي ﷺ للنجاشي ليزوجه أم حبيبة ـ رضي الله عنها ـ، وهي رملة بنت أبي سفيان، التي مات عنها زوجها في الحبشة، فأرسل النجاشي جارية له اسمها أبرهة بالخبر، فأوكلت أم حبيبة خالد بن سعيد بن العاص، فاجتمع المسلمون عند النجاشي، فقام فيهم خطيباً، فقال: «الحمد لله الملك القدوس، السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنه الذي بشّر به عيسى ابن مريم، أما بعد: فإن رسول الله كتب إليَّ أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، فأجبت إلى ما دعا رسول الله، وقد أصدقتها أربعمائة دينار». ثم سكب الدنانير أمامهم، وأجابه خالد بن سعيد بن العاص، ثم دعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا، فأرسلت أم حبيبة إلى أبرهة لتكافئها بما بشرت به، فأبت أن تأخذ شيئاً، ولكنها طلبت من أم حبيبة أن تبلغ رسول الله ﷺ أنها قد أسلمت، وأن تقرئه السلام منها؛ فأخبرت أم حبيبة رسول الله ﷺ حينما قدمت عليه بإسلامها وسلامها، فتبسم رسول الله ﷺ وردَّ قائلاً: «وعليها السلام ورحمة الله وبركاته»(1).

ومن المواقف الإيجابية التي تذكر للنجاشي أيضاً هذه الحادثة:

روى ابن إسحق: أن عمرو بن العاص أقام عند النجاشي بعد غزوة الخندق، هو وجماعة من قريش، وكان يومها على الشرك، فلما قدم رسول رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري، دخل عمرو بن العاص على النجاشي، وقدم له جلداً كثيراً هدية له، ثم قال له: أيها الملك، إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك، هو رسول رجل عدو لنا، فأعطنيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا، قال: فغضب [أي النجاشي]. فمد يده فضرب أنف ابن العاص، حتى ظن أنه قد كسره، فتمنىٰ ابن العاص لو تنشق الأرض عليه لينجو من غضب النجاشي، ثم قال: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه.

قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، لتقتله!.

قال عمرو: أيها الملك، أكذاك هو؟ قال: ويحك ياعمرو، أطعني واتبعه، فإنه

---

(1) انظر: المرجع السابق (98/8).

والله لَعَلىٰ الحق، وليظهرنَّ على من خالفه، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده[1].

وقد كان من إكرام النبي ﷺ للنجاشي، أنه عندما قدم وفده إلى المدينة المنورة، قام النبي ﷺ يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه: نحن نكفيك يا رسول الله. فقال: «إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وأنا أحب أن أكافئهم»[2].

ثم كانت آخر صلة وصل بها النبي ﷺ النجاشي هي إخباره الصحابة بوفاة النجاشي، وذلك بقوله ﷺ: «إن أخاكم النجاشي قد مات فاستغفروا له»[3].

ثم خرج ﷺ بالمسلمين إلى المصلى فصف بهم، وكبّر عليه أربع تكبيرات[4]، وكان ذلك في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة[5].

الدلالات التي يمكن استخلاصها من الأحداث السابقة:

(1) ـ إن طلب النبي ﷺ لحماية أصحابه من ظلم قريش من ملك مسيحي في عصره، يدل على أن هناك رابطة خاصة بين الإسلام والمسيحية، وعلاقة متميزة بين المسلمين والمسيحيين.

(2) ـ اعتماد جعفر بن أبي طالب على المنطق العلمي المقارن في حواره مع النجاشي، إذ عرض له صورتين متباينتين، الأولى صورة الجاهلية، ومافيها من آثام وظلم، والثانية صورة الإسلام، بما فيه من عدل وأخلاق.

(3) ـ عدم استخدام جعفر للعبارات السيئة، كتلك التي استخدمها وفد قريش، في حوارهم مع النجاشي، حيث وصفوا المسلمين بأنهم من سفهاء قريش.

(4) ـ اعتماد جعفر على القرآن الكريم في عرضه للمسيحية التي وصفها الإسلام، وذلك بتلاوته صدر سورة مريم.

---

(1) انظر: السيرة النبوية (3-277/4).
(2) رواه البيهقي عن أبي أمامة، انظر: سيدنا محمد رسول الله (ص161).
(3) رواه أحمد (241/2).
(4) رواه البخاري (230/1).
(5) انظر: السيرة النبوية (1-341/2).

(5) ـ يعتبر النجاشي من أولئك الفئة القليلة التي كان القرآن الكريم يستثنيها دائماً من أهل الكتاب، حيث لم يكتم الحق الذي عنده، وذلك بقوله: «إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة».

المبحث الثاني

الرسائل المتبادلة بين النبي والمسيحيين ودلالاتها

بدأ الرسول ﷺ بمراسلة الملوك والأمراء بعد صلح الحديبية، في السنة السادسة للهجرة[1].

وكان الرسول الكريم ﷺ قد أرسل أكثر من خمسين رسالة، يدعو فيها الملوك إلى الإسلام، ويرغبهم فيه، وكتب أيضاً إلى الملوك والأمراء الذين أسلموا، فأقرهم على ما تحت أيديهم، ووضح لهم كثيراً من أمور الإسلام.

وقد أرسل الرسول ﷺ إلى كل الملوك والأمراء المسيحيين الذين كانوا حوله داخل وخارج شبه الجزيرة، فمنهم من أجاب إلى الإسلام، واتبع الحق، ومنهم من رد رداً جميلاً ولم يسلم، ومنهم من رد رداً قبيحاً.

وفيما يلي نصوص هذه الرسائل:

(1) ـ رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة:

وكان حامل الرسالة عمرو بن أمية الضمري، والتي جاء فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، سِلْمٌ أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، حملت بعيسى، فخلقه من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده، لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني فإني

---

(1) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (258/1). والسيرة النبوية (3-606/4).

obeikandl.com

رسول الله إليك، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى»[1].

وبعد أن قرأ النجاشي الرسالة، جرى بينه وبين حاملها عمرو الضمري الحوار التالي: ـ وكانت بينهما صلة قديمة ـ، فقال عمرو: يا أصحمة، إن عليَّ القول وعليك الاستماع، إنك كأنك في الرقة علينا، وكأنا في الثقة بك منك، لأنا لم نظن بك خيراً قط إلا نلناه، ولم نخفك على شيء إلا أمّناه، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك، والإنجيل بيننا وبينك شاهدٌ لا يُرَدّ، وقاض لا يجور، وفي ذلك الموقع الحزّ [أنت بمكانة الشرف]. وإصابة المفصل، وإلا فأنت من هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى ابن مريم، وقد فرّق رسول الله ﷺ رسله في الناس، فرجاك لما لم يرجهم، وأَمِنَك على ما خافهم عليه، بخير سالف وأجر منتظر[2].

ويجيب النجاشي: أشهد أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب، وأن بشارة موسى براكب الحمار، كبشارة عيسى براكب الجمل، وأن العيان ليس أشفى من الخبر[3].

ثم نزل عن سريره، وجلس على الأرض تواضعاً، ثم أسلم وشهد شهادة الحق، وقال: لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته[4]. ثم كتب بإسلامه إلى النبي ﷺ الكتاب التالي: «بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله، من النجاشي أصحمة، سلام عليك يا نبي الله من الله، وبركات الله، الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فلقد بلغني كتابك فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت تُفرُوقاً[5]، إنه كما ذكرت، وقد عرفنا ما بُعثت به إلينا، وقد قرّبنا ابن

---

(1) هداية الحيارى (ص42). وانظر: تاريخ الرسل والملوك (131/2). وانظر المستدرك على الصحيحين (623/2).

(2) انظر: هداية الحيارى (ص42). والسيرة النبوية (3-277/4).

(3) انظر: هداية الحيارى (ص42). وانظر: تاريخ الرسل والملوك (132/2).

(4) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (259/1).

(5) التفروق: علامة بين النواة والتمرة. انظر: المُخَصَّص (129/2).

عمك [يعني جعفراً]، وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين»[1].

ثم كتم النجاشي إسلامه وإسلام أهل بيته، إلا أن أهل الحبشة خرجوا عليه، فكلمهم بما يحبون فرجعوا إلى طاعته[2].

وكان النجاشي يدفع كل عام جزية محددة لهرقل، ولكنه بعد إسلامه رفض دفع أي شيء له، وقال: لا والله، لو سألني درهماً واحداً ما أعطيته. فبلغ ذلك هرقل، فقال له أخوه نِيَاق: أتدع عبدك لا يُخرج لك خَرَاجاً، ويدين ديناً محدثاً؟! . . .

فقال هرقل: رجل رغب في دين اختاره لنفسه ما أصنع به، والله لولا الضَنُّ بملكي لصنعت كما صنع[3].

(2) ـ رسالة النبي ﷺ إلى هرقل قيصر الروم:

وكان حامل الرسالة دحية بن خليفة الكلبي، وكان هرقل قد استقدم ركباً من العرب فيهم أبو سفيان بن حرب، يسألهم عن النبي ﷺ في حوار طويل بينهما، ثم قال هرقل لأبي سفيان في نهاية الحوار: إن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه[4].

ثم دعا بكتاب رسول ﷺ فقُرِأ عليه، فإذا فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم،

---

(1) هداية الحيارى (ص42).
(2) انظر القصة كاملة: السيرة النبوية (1-341/2).
(3) انظر: هداية الحيارى (ص45).
(4) انظر نص الحوار: صحيح البخاري (8/1).

يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيِّين، ويا أهل الكتاب، تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون»[1].

وكان هرقل رجلاً عالماً بالكتب والنجوم، وقد عرف أنه اقترب زمان ظهور النبي الذي بشّرت به كتبهم، ولما سأل أبا سفيان عنه، واستوثق خبره، علم أنه النبي المنتظر، وعزم على أن يسلم، ولكنَّ من حوله رفضوا ذلك، حين جمعهم هرقل في صومعة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلّقت، ثم اطلع، فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم؟ فتبايعوا هذا النبي. فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلّقت، فلما رأى هرقل نفرتهم، وأيس من إيمانهم، قال: ردّوهم عليّ. ثم قال: إني قلت مقالتي آنفاً لأختبر بها شدّتكم على دينكم، فقد رأيت. فسجدوا له، ورضوا عنه[2]، ثم دعا هرقل دحية وقال له: إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل ولكني أخاف الروم على نفسي ولولا ذلك لاتبعته[3].

وجاء في بعض الروايات أن هرقل أرسل رسالة جوابية إلى النبي ﷺ، جاء فيها: «إلى أحمد رسول الله، الذي بشّر به عيسى، من قيصر ملك الروم، إنه جاءني كتابك مع رسولك، وإني أشهد أنك رسول الله، نجدك عندنا في الإنجيل، بشّرنا بك عيسى ابن مريم، وإني دعوت الروم إلى أن يؤمنوا بك فأَبَوا، ولو أطاعوني لكان خيراً لهم، ولَوَدِدتُ أني عندك، فأخدمك، وأغسل قدميك»[4].

وفي السنة التاسعة للهجرة، وعندما نزل الرسول ﷺ وجيشه في تبوك، أرسل إليه هرقل كتاباً مع رجل من قبيلة تنوخ، وأمره أن يختبر النبي ﷺ في ثلاث، الأولى: إذا

---

(1) رواه البخاري في صحيحه (9/1). الأريسيين: هم العمال والفلاحون بلغة الروم. وقيل نسبة لآريوس الراهب الموحد.
(2) انظر: المرجع السابق (10/1).
(3) انظر الكامل في التاريخ (144/2).
(4) انظر: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي (ص111).

نظر في كتاب هرقل، هل يذكر أنه كتب شيئاً إليه سابقاً. والثانية: إذا قرأ الكتاب هل يذكر الليل. والثالثة: هل في ظهره شيء يُريب.

وقدم التنوخي على الرسول ﷺ فناوله الكتاب، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فكره مفارقة دين من أرسله، فضحك رسول الله ﷺ وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: 56]. ثم ذكر الرسول ﷺ أنه أرسل كتاباً إلى كسرى، وآخر إلى هرقل. فقال التنوخي: هذه واحدة. ولما قُرأ الكتاب على رسول الله ﷺ، فإذا فيه: تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض، فأين النار؟ فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله، فأين الليل إذا جاء النهار؟. فعلم التنوخي الثانية. ثم أُهدي التنوخي حلّة، وذهب به أحد الأنصار ليضيفه، فناداه الرسول ﷺ، والقى رداءه عن كتفه، فنظر فيه التنوخي فوجد خاتم النبوة، فعلم الثالثة[1].

(3) ـ رسالة النبي ﷺ إلى المقوقس ملك القبط في مصر:

واسم المقوقس جُريج بن مَيناء، وكان حامل الرسالة الصحابي حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، وجاء في الرسالة: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله، إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن تولّيت فإن عليك إثم القبط[2]». ﴿... يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 64].

ولما وصل حاطب إلى المقوقس، ودفع إليه الرسالة، جرى بينهما الحوار التالي: قال المقوقس: هلمَّ أخبرني عن صاحبك، أليس هو نبي؟ قلتُ [أي حاطب]: بلى هو رسول الله. قال: فماله حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث

---

(1) رواه أحمد في مسنده (74/4).

(2) انظر: هداية الحيارى (ص43).

أخرجوه من بلده إلى غيرها؟ قال حاطب: عيسى ابن مريم، ألست تشهد أنه رسول الله؟ قال: بلى. قلت: فماله حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه ألا يكون دعا عليهم. فقال المقوقس: أنت حكيم جاء من عند حكيم. ثم قال حاطب: إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى، ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النازعات: 25]. فانتقم به ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك، ولا يعتبر بك غيرك. قال المقوقس: إن لنا ديناً لن ندعه إلا لما هو خير منه. قال حاطب: ندعوك إلى الإسلام، الكافي به الله فَقْدَ ما سواه، إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له يهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، وكل نبي أدرك قوماً فهم من أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، فأنت ممن أدرك هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكنا نأمرك به. فقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبي، فرأيته لا يأمر بمزهود به، ولا ينهى عن مرغوب عنه، ولم أجده بالساحر الضالّ، ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آلة النبوة، من إخراج الخِبء [الأشياء المستورة]، والإخبار بالنجوى. ثم صار يصف لحاطب أشياء من صفة النبي ﷺ ثم قال: القبط لا يطاوعونني في اتباعه، ولا أحب أن تعلم بمحاورتي إياك، وأنا أضن بملكي أن أفارقه، وسيظهر على بلادي، وينزل بساحتي هذه أصحابه من بعده، فارجع إلى صاحبك. ثم كتب إلى النبي ﷺ الجواب التالي: «بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك، أما بعد: فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبياً بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط، وبكسوة، وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام عليك»[1].

والجاريتان هما: مارية وسيرين: وقد تزوج النبي ﷺ مارية بعد إسلامها، فولدت له إبراهيم[2].

---

(1) هداية الحيارى (ص44). وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد (260/1).

(2) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (260/1).

(4) ـ رسالة النبي ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر الغساني:

وكان حامل الرسالة الصحابي شجاع بن وهب الأسدي، وكان الحارث نصرانياً، يتبع هرقل، فأعطاه الكتاب، وفيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى الحارث بن أبي شمر، سلام على من اتبع الهدى، وآمن به وصدق، وإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، ويبقى لك ملكك»[1].

فقرأه الحارث، وقال: «من ينتزع مني ملكي؟! أنا سائر إليه، ولو كان باليمن جئته، عليّ بالناس». فلم يزل يعرض الخيل حتى الليل، ثم قال: أخبر صاحبك ما ترى. وكتب إلى هرقل بالخبر، فنهاه عن الخروج حتى يصل إلى القدس، فما كان منه إلا أن استدعى شجاعاً، وأمر له بمئة مثقال ذهباً.

وكان للحارث الغساني خادم رومي نصراني، اسمه مُري، صار يكرم شجاع بن وهب، ويسأله عن صفة رسول الله ﷺ، فيرقّ حتى يغلبَه البكاء، ويقول: إني قد قرأت في الإنجيل فأجد صفة هذا النبي بعينه، فأنا أؤمن به وأصدقه، وأخاف من الحارث أن يقتلني. ولما أراد شجاع العودة، أهداه مرى نفقة وكسوة، وقال له: أقرىء رسول الله مني السلام، وأخبره أني مُتبعٌ دينه. فلما قدم شجاع على الرسول ﷺ وأخبره خبره وسلامه، قال الرسول الكريم ﷺ: «صدق»[2].

(5) ـ رسالة النبي ﷺ إلى ملك عُمان:

وكان حامل الرسالة عمرو بن العاص، وكان المُلك فيهم إلى أخوين هما: جَيْفَر وعَبْد، ابنا الجَلَنْدي، والأمر لجَيفر الأكبر، وكانوا نصارى، وقد جاء في الرسالة:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله، إلى جيفر وعبد ابني

---

(1) هداية الحيارى (ص46).

(2) انظر: الطبقات الكبرى (261/1).

الجَلَنْدي، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام ولّيتكما مكانكما، وإن أبيتما أن تقرّا بالإسلام فإن ملكَكما زائل عنكما، وخيلي تحلّ بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملكِكُما»[(1)].

وكان عمرو قد قَدَّم الكتاب أولاً إلى الأمير الأصغر، وهو عبد بن الجَلَنْدي، ووجد فيه رقّة وحلماً، وحدّثه عن الإسلام وتعاليمه وهديه، فَسُرَّ بذلك عبد، وكان من الحوار بينهما أن سأل عبدٌ عَمرا: ما الذي يأمر به، وينهى عنه؟ قال عمرو: يأمر بطاعة الله عز وجل، وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر وصلة الرحم؛ وينهى عن الظلم والعدوان، وعن شرب الخمر والزنا، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب. فقال عبد: ما أحسن هذا الذي يدعو إليه، لو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به، ولكن أخي أضنّ بملكه من أن يدعه ويصير ديناً. فقال عمرو: إنه إن أسلم ملّكه رسول الله ﷺ على قومه، فأخذ الصدقة من غنيهم فردّها على فقيرهم. قال عبد: إن هذا لخلق حسن. ثم سأل عبد عمراً عن إسلامه، فأجابه بأنه قد أسلم عند النجاشي[(2)]. وأن النجاشي قد أسلم أيضاً، وقد رفض أن يعطي الجزية لهرقل.

ثم التقى عمرو جَيفراً، وأعطاه الكتاب، فأبى أن يسلم أولاً، ثم كلمه أخوه الأصغر عبد، فأسلما، وأسلم معهما خلق كثير من قومهم[(3)].

(6) ـ رسالة النبي ﷺ إلى هَوْذَة بن علي الحنفي:

وكان هوذة ملكاً على اليمامة يدين بالنصرانية، وكان حامل الرسالة الصحابي سليط بن عمرو العامري، جاء فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى هوذة بن علي، سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر

---

(1) هداية الحيارى (ص44). والطبقات الكبرى لابن سعد (262/1).
(2) انظر: السيرة النبوية (3-277/4).
(3) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (263/1). وهداية الحيارى (ص45). والإصابة (265/1).

obeikandl.com

إلى منتهى الخف والحافر، فأسلم تسلم، أجعل لك ما تحت يدك»[1].

وكان عند هوذة أَرْكُون الشام[2]، فسأله عن النبي ﷺ وقال: قد جاءني كتابه يدعوني إلى الإسلام. فقال الأركون: لِمَ لا تجيبه؟ فقال هوذة: ضننت بديني، وأنا ملك قومي، إن اتبعته لم أملك.

فقال الأركون: بلى والله، لئن اتبعته ليملِّكَنَّك، وإن الخيرة لك في اتباعه، وإنه للنبي العربي الذي بشّر به عيسى ابن مريم، والله إنه لمكتوب عندنا في الإنجيل.

ولكن هوذة رفض الإسلام، ثم كتب إلى النبي ﷺ رسالة جاء فيها: «ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك»[3].

وأرسل وفداً إلى النبي ﷺ في ذلك، وأمر لسليط بن عمرو بجائزة، وكساه أثواباً من نسيج هَجَر.

ورفض الرسول ﷺ إجابته إلى ما طلب، ومات هوذة بعد الفتح.

(7) ـ رسالة النبي ﷺ إلى أسقف نجران أبي الحارث:

جاء فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم، بسم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، من محمد النبي رسول الله، إلى أُسقف نجران وأهل نجران، إني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، أما بعد: فإني أدعوكم إلى عبادة الله، من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب، والسلام»[4].

فلما قرأه الأسقف خاف، وذُعِر ذعراً شديداً، فبعث إلى رجل من عُمان اسمه

---

(1) هداية الحيارى (ص46).

(2) الأركون: هو العظيم القدر من رجال المسيحية. انظر: الرد على النصارى للجعفري (ص125).

(3) الطبقات الكبرى لابن سعد (262/1). وانظر: الكامل في التاريخ (146/2).

(4) هداية الحيارى (ص54).

obeikandl.com

شرحبيل بن وداعة، وكان من همدان، يستشيره، فلما قرأ الكتاب، قال له الأسقف: مارأيك يا أبا مريم؟ فأجاب شرحبيل: قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة، فما نأمن أن يكون هذا هو ذاك الرجل، ليس لي في النبوة رأي، لو كان من أمر الدنيا أشرت عليك فيه برأي، وجهدت لك.

ثم استشار الأسقف كُلّاً من: عبد الله بن شرحبيل، وجبار بن فيض. فقالوا مقالة شرحبيل، فضُربت النواقيس، ورُفعت المسوح [أعلام الكنيسة]، فاجتمع أهل الوادي، وفيه ثلاث وسبعون قرية، ومئة وعشرون ألف مقاتل، فقُرأ عليهم الكتاب، وسألهم الرأي، فاجتمع أهل الرأي منهم على أن يرسلوا إلى النبي ﷺ وفداً لمعرفة خبره[1]، ثم كانت النتيجة أن كتب رسول الله ﷺ بينه وبينهم عهداً، كان مما جاء فيه: «... ولنجران وحاشيتهم جوار الله، وذمة محمد النبي رسول الله، على أنفسهم، ومِلَّتهم، وأرضهم، وأموالهم، وغائبهم، وشاهدهم، وبِيَعِهِم، وصلواتهم، لا يُغيروا أسقفاً عن أسقفيته، ولا راهباً عن رهبانيته»[2].

(8) ـ رسالة النبي ﷺ إلى جبلة بن الأيهم الغساني:

وكان حامل الرسالة شجاع بن وهب الأسدي، دعا فيها النبي ﷺ جبلةَ إلى الإسلام، فاسلم، وكتب بإسلامه إلى رسول الله ﷺ، وأهدى له هدية.

ولم يزل مسلماً حتى زمن الفاروق ـ رضي الله عنه ـ فارتد نصرانياً، ولحق بالروم لرفضه القصاص بضربه رجلاً من مُزينة[3].

(9) ـ رسالة النبي ﷺ إلى ضُغَاطِر الأُسقف:

وهو أسقف الروم في دمشق، وكان حامل الرسالة دِحيةَ بن خليفة الكلبي، جاء فيها: «إلى ضُغاطِر الأسقف، سلام على من آمن، أما على أثر ذلك: فإن عيسى ابن مريم روح الله، وكلمته، ألقاها إلى مريم الزكية، وإني أؤمن بالله، وما أُنزل إلينا،

---

(1) انظر: (ص97) من هذا البحث، لقاء الوفد مع النبي ﷺ.

(2) الطبقات الكبرى، لابن سعد (288/1). والخراج لأبي يوسف (ص78).

(3) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (265/1).

وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى، وما أُوتي النبيون من ربهم، لانفرق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون، والسلام على من اتبع الهدى»[1].

ولما وصل دحية إلى هرقل، أرسله إلى ضُغاطِر، قائلاً: اذهب إلى ضغاطر الأسقف الأعظم في الروم، واذكر له أمر صاحبك، وانظر ما يقول لك. فجاءه دحية فأخبره الخبر، ودفع إليه الكتاب، فقال له ضُغاطر: صاحبك والله نبي مرسل، نعرفه بصفته واسمه، ونجده في كتابنا.

ثم دخل فألقى ثوبه، ولبس ثياباً بيضاء، وخرج على الروم وهم في الكنيسة، فقال: يا معشر الروم، قد جاءنا كتاب أحمد، يدعونا إلى الله، وإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. قال دحية: فوثبوا إليه فقتلوه[2].

(10) ـ رسالة النبي ﷺ إلى يُحَنَّة بن رؤبة ملك أيلة[3]:

وكان نصرانياً، يتبع الروم، وقد جاء في الرسالة: «سلم أنتم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، فإني لم أكن لأقاتلكم حتى أكتب إليكم، فأسلم، أو أعطِ الجزية، . . . فإني رسول الله بالحق، أؤمن بالله، وكتبه، ورسله، وبالمسيح ابن مريم، أنه كلمة الله، وإني أؤمن به أنه رسول الله»[4].

فقدِم يحنة بن رؤبة على النبي ﷺ بعد عودته من تبوك، وكان على يحنة صليب من ذهب، وهو معقود الناصية، فلما رأى رسول الله ﷺ كفّر [أي خفض] وأومأ برأسه، فأومأ إليه رسول الله ﷺ أن: ارفع رأسك، وصالحه يومئذ، وكساه بردة يمنية، وأمر بإنزاله عند بلال[5].

---

(1) المرجع السابق (276/1). وانظر: تاريخ الرسل والملوك (130/2). وانظر: سنن سعيد بن منصور (189/2).

(2) انظر: الكامل في التاريخ (144/2). والإصابة(208/2).

(3) لعل اسمه (يوحنا)، ولكن الرسم هكذا: (يحنة).

(4) الطبقات الكبرى لابن سعد (278/1).

(5) المرجع السابق (278/1).

ثم كتب الرسول ﷺ عهد الأمان له، جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذه أَمَنَةٌ من الله، ومحمد النبي رسول الله، ليحنة بن رؤبة، وأهل أيلة، سفنهم وسياراتهم في البر والبحر، لهم ذمة الله، وذمة محمد النبي، ومن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمن، وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثاً، فإنه لايحول ماله دون نفسه، وإنه طيب لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحلّ أن يُمنعوا ماء يردونه، ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر»(1).

(11) ـ كتاب النبي ﷺ إلى أُكَيْدَر بن عبد الملك:

وكان الرسول ﷺ قد أرسل خالد بن الوليد في سرية إلى دُومة الجندل، وأخبر خالداً أنه سيجد أكيدر يصيد البقر، فيأخذه أسيراً، فلما قدم به خالد على النبي ﷺ كان عليه جبة حرير وصليب ذهب، فعفا عنه الرسول ﷺ وكتب إليه عهداً بعد أن أسلم جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله، لأكيدر حين أجاب إلى الإسلام، وخلع الأنداد والأصنام، مع خالد بن الوليد سيف الله، في دومة الجندل»(2).

(12) ـ رسالة النبي ﷺ إلى فَرْوَة بن عمرو الجُذامي:

وكان فروة عاملاً للروم على منطقة مَعَان، في أرض البلقاء [الأردن]، وقد كتب إلى النبي ﷺ رسالة فيها إسلامه، وتصديقه بالرسول، جاء فيها:

«لمحمد رسول الله، إني مقرّ بالإسلام، مصدق به، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، أنت الذي بشّر بك عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام»(3).

وحمّل الرسول إلى النبي ﷺ هدية، وكان حامل الرسالة مسعود بن سعد، وردّ رسول الله ﷺ برسالة إلى فروة، جاء فيها: «من محمد رسول الله، إلى فروة بن

(1) السيرة النبوية (3-526/4). وانظر: الطبقات الكبرى (289/1).
(2) السيرة النبوية (3-526/4). وانظر: الطبقات الكبرى (290/1).
(3) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (281/1).

عمرو، أما بعد: فقد قدم علينا رسولك، وبلّغ ما أرسلت به، وخَبَّر عما قبلكم، وأتانا بإسلامك، وأن الله هداك بهداه، إن أصلحت، وأطعت الله ورسوله، وأقمت الصلاة، وآتيت الزكاة»[1].

ثم أكرم النبي ﷺ مسعود بن سعد باثنتي عشرة أوقية.

وبلغ ملك الروم إسلام فروة، فدعاه وقال له: ارجع عن دينك، نملّكك. قال: لا أفارق دين محمد، وإنك تعلم أن عيسى قد بشّر به، ولكنك تضن بملكك. فحبسه، ثم قدمه للقتل، فأنشد قائلاً:

بلّـغ سُـراةَ المسلميـنَ بـأننـي سَلْـمٌ لـربّـي أعظُمِـي ومَقَـامِـي

ثم قُتِل وصُلب[2].

الدلالات التي يمكن استخلاصها من هذه الرسائل:

(1) ـ اعتمد الرسول ﷺ على منهج القرآن الكريم، في عرضه لكل ما يتعلق بالمسيحية والمسيح وحقيقته، وأن المسيح عبد الله ورسوله، وكلمته، وروح منه، ألقاها إلى مريم العذراء.

(2) ـ المبدأ الذي وضعه الرسول الكريم ﷺ في موضوع اللقاء مع المسيحيين، هو قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 64].

(3) ـ أضفى الرسول الكريم ﷺ على رسائله جَوّاً من السلام، ليعبِّدَ الطريقَ أمام اللقاء والحوار مع المسيحيين، حتى يصل بهم إلى الحق، وذلك بقوله: «سلم أنت». وقوله: «أسلم تسلم». وقوله: «سلم أنتم».

(4) ـ حرص الرسول ﷺ على طَمأنَةِ الملوك والأمراء بعدم المساس بممالكهم، وملكهم، إذا هم أسلموا، وهذا يدل على أن أهداف النبي ﷺ من الرسائل هي

---

(1) المرجع السابق (281/1).

(2) انظر: المرجع السابق (281/1). والسيرة النبوية (3-592/4). والإصابة (207/3).

الدعوة إلى الله تعالىٰ، وفقط، وهو أيضاً باب من أبواب الترغيب بالإسلام.

(5) ـ تكرار قضية: وقوف القضايا المادية (المال، الجاه، السلطان) عقبة في وجه الحق، وصعوبة تخلي الملوك والأمراء عن عروشهم، مع أنهم يعلمون الحق كل العلم. (هرقل، هوذة، الحارث).

(6) ـ معرفة المسيحيين، وبخاصة علماؤهم، بأن هناك نبياً سيظهر، وتطابق الصفات التي يجدونها عندهم في كتبهم، التي تصف النبي المنتظر، مع صفات النبي ﷺ، وقد توضح ذلك كله من خلال كلام هرقل وأركون الشام، وضغاطر الأسقف، ومُري خادم الحارث الغساني.

(7) ـ إن مطالبة الصحابي عمرو بن أمية الضمري، مطالبته النجاشي بأن يكون الإنجيل الموجود في عصرهم حكماً بيْنهم، وبين النبي ﷺ يدل على أن ذلك الإنجيل كان يحتوي بلا ريب على التبشير الصريح بالنبي محمد ﷺ.

(8) ـ إن ذكر النبي ﷺ لأسماء الأنبياء، وبخاصة إبراهيم وإسحق ويعقوب، هو تذكير للمسيحيين بأصول دينهم، وأن المنشأ واحد لكل الأديان السماوية.

(9) ـ ملاحظة أن أغلب من وصلتهم الرسالة النبوية قد أسلموا.

المبحث الثالث

الأحاديث التي تحدث بها النبي عن المسيح والمسيحية ودلالاتها

يتبين لدى استعراض الأحاديث التي وردت عن النبي ﷺ عن المسيحية والمسيح ـ عليه السلام ـ أن هناك خطوطاً رئيسة يمكن استخلاصها من هذه الأحاديث.

حيث اتبع النبي ﷺ منهج القرآن الكريم في عرضه للمسيحية، وذلك من خلال كلامه ﷺ عن المسيحية الحقيقية التي جاء بها المسيح ـ عليه السلام ـ ووصف حقيقته.

ثم عرضه ﷺ للأخطاء التي وقع فيها المسيحيون، بعد المسيح، وأتبع هذا العرض بالتحذير للمسلمين من هذه الأخطاء، لأجل ألا يقعوا فيها.

وتتمثل هذه الخطوط من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول

الأحاديث التي ذكر بها النبي ﷺ المسيح

أولاً: تحدث النبي ﷺ عن الوصف الجسدي للمسيح ـ عليه السلام ـ فقال: «رجل آدَم، كأحسن ما أنت راءٍ من أُدْم الرجال، سَبِط الشعر، له لِمَّة كأحسن ما أنت راءٍ من اللِّمَم، تضرب لِمتَّه بين منكبيه، يقطر رأسه ماء، رَبْعَة، أحمر، كأنما خرج من دِيْمَاس»[1].

ثانياً: تحدث النبي ﷺ ـ عن كمال أم المسيح ـ عليهما السلام ـ فقال: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون»[2].

ثالثاً: تحدث النبي ﷺ عن حفظ الله تعالى للمسيح وأمه ـ عليهما السلام ـ وذلك بحفظه تعالى لهما من المسّ والأذى الشيطاني، فقال: «ما من مولود إلا يمسّه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخاً، من مَسِّ الشيطان، غير مريم وابنها»[3] ثم تلا أبو هريرة ـ راوي الحديث ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: 36].

رابعاً: تحدث النبي ﷺ عن معجزة من معجزات المسيح ـ عليه السلام ـ وهي معجزة كلامه في المهد وهو رضيع، فقال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: ـ وذكر عيسى عليه السلام ـ»[4].

خامساً: تحدث النبي ﷺ عن عظيم خوف المسيح ـ عليه السلام ـ من الله تعالى، وخضوعه التام له، فقال: «رأى عيسى ابن مريم رجلاً يسرق؛ فقال له: أسرقت؟ قال: كلا، والذي لا إله إلا هو. فقال عيسى: آمنت بالله، وكذبت عيني»[5].

---

(1) رواه البخاري في صحيحه (255/2) (آدم: أسمر) (لمة: غرة) (ديماس: حمام).
(2) رواه البخاري في صحيحه (253/2).
(3) رواه البخاري في صحيحه (253/2).
(4) رواه البخاري في صحيحه (254/2).
(5) رواه البخاري في صحيحه (256/2).

سادساً: وهذه النقطة هي أكثر موضوع تحدث به النبي ﷺ عن المسيح ـ عليه السلام ـ وهي قضية نزول المسيح في آخر الزمان، حيث تضافرت الروايات الصحيحة في ذلك[1]، يقول النبي ﷺ في أحد هذه الأحاديث: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حَكَماً عَدْلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال، حتى لا يقبله أحد»[2].

المطلب الثاني

الأحاديث التي تحدث بها النبي ﷺ عن المسيحية وأهلها

أولاً: النبي ﷺ يبشر كل مسيحي آمن بالمسيح ابن مريم ـ عليهما السلام ـ ثم آمن برسالة الإسلام، وبالنبي الكريم ﷺ بأن له أجرين في الثواب عند الله تعالى، فيقول عليه الصلاة والسلام: «إذا أدّب الرجل أمته، فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها، كان له أجران. وإذا آمن بعيسى، ثم آمن بي فله أجران. والعبد إذا اتقى ربه، وأطاع مواليه فله أجران»[3].

ثانياً: يمتدح النبي ﷺ طائفة من أهل الكتاب، بسبب تمسكهم بمنهج الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وكيف أن الله تعالى قد اطلع إلى الخلق قبل بعثة النبي محمد ﷺ فأبغضهم إلا هؤلاء النفر المؤمنين، فقال: «إن الله عز وجل نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عجميهم وعربيهم، إلا بقايا من أهل الكتاب»[4].

ثالثاً: النبي ﷺ يجعل الإيمان بالمسيح ـ عليه السلام ـ بأنه عبد الله ورسوله، من جملة مستلزمات الإيمان، التي توصل صاحبها إلى رضاء الله تعالى، فيقول: «من شهد أن لاإله إلا الله، وحده لاشريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، والجنة حق، والنار حق،

---

(1) انظر: التصريح بما تواتر في نزول المسيح (ص56) ومابعدها.
(2) رواه البخاري في صحيحه (256/2).
(3) رواه البخاري في صحيحه (256/2).
(4) رواه أحمد في مسنده (162/4).

أدخله الله الجنة، على ما كان من العمل»[1].

رابعا: النبي ﷺ يضع قاعدة مهمة في قضية الحوار مع المسيحية، حتى لا يصل المسلم إلى نقطة الصراع الجدلي العقيم مع المسيحيين؛ وهذه القاعدة هي: عدم موافقة أهل الكتاب في كل ما جاؤوا به، وعدم مخالفتهم في كل ما يدّعونه في كتبهم، فيقول: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بما أنزل إلينا، وما أنزل إليكم»[2].

وتأتي الرواية الأخرى لتوضح السبب في هذه القاعدة، وهي قوله ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم، وقد ضلوا، فإنكم إما أن تصدقوا بباطل، أو تكذبوا بحق»[3].

ويعلل الكِرماني[4] هذا الحديث بقوله: «لقد أُمرنا أن نؤمن بالكتب المنزلة على جميع الأنبياء، وليس لدينا ما نستطيع به أن نميز الصحيح من الباطل، فيما نقله مؤلفوها، فنحن لا نصدقهم، حتى لانكون شركاءهم فيما حرّفوه من هذه الكتب، ولا نكذبهم، لإمكان أن يكون ما نقلوه صحيحاً، فنكون قد أنكرنا ما أُمرنا بالإيمان به»[5].

خامساً: وصايا النبي ﷺ للمسلمين بحسن الصلة، والمعاملة للمسيحيين، وفق مايلي:

(أ) ـ وصايا النبي ﷺ بأهل الذمة عامة[6]، ومن ذلك قوله: «أوصيكم بذمة الله، فإنه ذمة نبيكم»[7].

ويحذر الرسول الكريم ﷺ من الاعتداء على أهل الذمة بالقتل، فيقول: «من قتل

---

(1) رواه البخاري في صحيحه (254/2).
(2) رواه البخاري في صحيحه (100/3).
(3) رواه أحمد في مسنده (338/3).
(4) محمد بن يوسف الكرماني، ت (786هـ/ 1384م). انظر: الدرر الكامنة (310/4).
(5) انظر: الرد على النصارى للجعفري (ص29).
(6) انظر: تعريف أهل الذمة (ص 37) من هذا الكتاب.
(7) رواه البخاري في صحيحه (201/2).

نفساً معاهَداً لم يَرِحْ رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً»[1].

(ب) ـ تخصيص النبي ﷺ الوصية بأقباط مصر المسيحيين، بقوله: «إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً»[2].

سادساً: نهي الرسول ﷺ عن الجدال في القضايا الدينية، بقوله: «إياك والخصومةَ والجدالَ في الدين» والنهي هنا محمول على عدم جعل الجدال الديني سبباً للحروب والفتن[3].

المطلب الثالث

الأحاديث التي ذكر فيها النبي ﷺ العلاقة الخاصة بينه وبين المسيح ـ عليه السلام ـ ووحدة الرسالات السماوية

أولاً: النبي ﷺ يتحدث عن الصلة الكبيرة التي تربطه بالمسيح ـ عليه السلام ـ والسبب في ذلك هو عدم وجود نبي يفصل بين رسالتيهما، ويبين ﷺ أنه أولى الناس بعيسى ابن مريم، أي أنه أقرب الناس، وأكثرهم معرفة بحقيقة المسيح، ودينه، وشريعته، فيقول: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، في الدنيا والآخرة، ليس بيني وبينه نبي»[4].

ثانياً: وضع النبي ﷺ القاعدة الواضحة لالتقاء الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ووحدة أصول دياناتهم، وذلك من خلال مثالين هما:

(أ) ـ الأنبياء مثلهم في اتحاد عقائدهم، وأصول دياناتهم، واختلاف شريعة كل واحد منهم، مثل الإخوة من أب واحد، وأمهاتهم مختلفة، فيقول ﷺ: «الأنبياء إخوة لِعَلَّات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد»[5].

---

(1) رواه البخاري في صحيحه (194/4).
(2) رواه الحاكم في المستدرك (553/1).
(3) رواه الدارمي في سننه (90/1).
(4) رواه البخاري في صحيحه (255/2).
(5) رواه البخاري في صحيحه (255/2).

obeikandi.com

(ب) ـ يشبه النبي ﷺ تكامل رسالات الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ووحدة الهدف الذي جاؤوا من أجله، ببيت رجل بناه فأحسن بناءه، ولم يبق إلا موضع لبنة لم تكمل، فكانت بعثته ﷺ هي تلك اللبنة المكملة للبناء، فيقول: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبل كمثل رجل بنى بيتاً، فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلاّ وضعت هذه اللبنة. فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»[1].

ثالثاً: حذر النبي ﷺ من اتخاذ المفاضلة بين الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وسيلة وسبباً للجدال، والخصومة بين أتباع الديانات، فهو يرفض أن يفضله الناس على الأنبياء، حتى لا يكون هذا التفضيل سبباً للبغي والظلم والاختلاف، فيقول: «لا تخيّروني على موسى»[2]. ويقول أيضاً: «لا تخيّروا بين الأنبياء»[3].

وهذا هو معنى قوله تعالىٰ: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: 285].

المطلب الرابع

الأحاديث التي ذكر فيها النبي ﷺ الأخطاء التي وقع فيها المسيحيون، ليحذر أمته منها

أولاً: يبين النبي ﷺ أن سبب انحراف المسيحية عن حقيقتها هو المغالاة التي غالى بها المسيحيون في مدح وتعظيم المسيح ـ عليه السلام ـ ويحذر من هذا الأمر فينهى أن تعظمه أمته، أو تغالي بمدحه، فيقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»[4].

ثانياً: ينهى النبي ﷺ أمته عن كثرة التساؤلات، ويأمرهم بالعمل على قدر استطاعتهم، حتى لا يقعوا في نفس الأخطاء التي وقع فيها من كان قبلهم، فيقول:

---

(1) رواه البخاري في صحيحه (270/2).
(2) رواه البخاري في صحيحه (60/2)، وانظر قصة الحديث في نفس الصفحة.
(3) المرجع السابق.
(4) رواه البخاري في صحيحه (256/2).

obeikandi.com

«ذروني ما تركتكم، فإنما أُهلك أهلُ الكتاب قبلكم، بكثرة اختلافهم على أنبيائهم، وكثرة سؤالهم، فانظروا ما أمرتكم به فاتبعوه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فدعوه»(1).

ثالثاً: يخبر النبي ﷺ بأمر غيبي، وهو أن هذه الأمة سوف تسير على نفس الطريق الذي سارت عليه اليهود والنصارى، فيقول محذراً: «لتتَّبِعنَّ سُننَ من قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جُحر ضَبٍّ لسلكتموه. قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟!»(2).

رابعاً: يحذر النبي ﷺ أمته، من أن تصل إلى مرحلة لا تستفيد فيها من تلاوة القرآن الكريم، بحيث يُصبح القرآن حجة عليها لا لها، كما حصل مع أهل الكتاب، يقول الحديث: «ذكر رسول الله ﷺ ذهاب العلم؛ فقلنا: يا رسول الله، وكيف يذهب العلم؟ ونحن نقرأ القرآن، ونقرئه أبناءنا، ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة. فقال: ثكلتك أمك يا ابن أم لبيد، إن كنتُ لأراك من أفقه رجل بالمدينة، أوليس هذه اليهود والنصارى، يقرؤون التوراة والإنجيل، فلا ينتفعون مما فيها بشيء»(3).

خامساً: يرفض النبي ﷺ منهج وعمل اليهود والنصارى، في مغالاتهم بتعظيم أنبيائهم، مما أوصلهم إلى عبادتهم، وكان السبيل إلى ذلك هو بناؤهم المساجد على القبور، فيقول: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ راوي الحديث: «يحذر مما صنعوا»(4).

سادساً: بالإضافة إلى تقديس الأنبياء وتعظيمهم، يحذر النبي ﷺ من تعظيم، وتقديس العلماء، خشية الوصول إلى مرحلة العبادة، فقد جاء في الحديث: «كانت أم سلمة، وأم حبيبة أتتا من أرض الحبشة، فذكرتا كنيسة، يقال لها: سارية، من

---

(1) رواه أحمد في مسنده (457/2).
(2) رواه البخاري في صحيحه (257/2).
(3) رواه أحمد في مسنده (219/4).
(4) رواه البخاري في صحيحه (93/3).

حسنها وتصاوير فيها، فرفع رسول الله ﷺ رأسه فقال: «أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، ثم صوروا فيه تلك الصورة، أولئك شرار الخلق عند الله»[1].

سابعاً: يبين النبي ﷺ صورة سلبية وقع فيها أهل الكتاب، ويخبر أمته بأنها ستقع في نفس هذه الصورة السلبية، ألا وهي الفرقة والتمزق، فيقول: «إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم إلى اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين ملة»[2].

* * *

---

(1) رواه البخاري في صحيحه (232/1).

(2) رواه أحمد في مسنده (102/4).

obeikandl.com

الفصل الثالث

مبادىء الحوار الإسلامي المسيحي في ضوء الكتاب والسنة

إن استعراض الفصلين السابقين، يبين بوضوح كيف كان منهج القرآن الكريم والسنة النبوية في موضوع العلاقات الإسلامية المسيحية، ولذلك يمكن استخلاص المبادىء الرئيسة، التي يمكن أن يُبنى عليها الحوار الإسلامي المسيحي.

ولكن قبل البدء في عرض هذه المبادىء. لابد من معرفة العناصر التي يجب أن تتوفر في عملية الحوار بشكل عام، وهذا ما سيعرض في المبحث الأول.

المبحث الأول

العناصر الواجب توفرها في قضية الحوار بشكل عام[1]

يجب أن يعيش الحوار في مناخ واضح الملامح، هادف في قضاياه المعروضة، بعيد عن المؤثرات النفسية أو الخارجية، منضبط في كل مراحله.

وهذا لا يمكن أن يتوفر دون العناصر التالية:

العنصر الأول: شخصية الطرف المسلم المحاوِر:

يجب أن تمتلك الشخصية المسلمة المحاوِرة الصفات التالية:

---

(1) انظر: الحوار في القرآن (ص35) ومابعدها. وأسلوب المحاورة في القرآن (ص27) ومابعدها. وضوابط المعرفة (ص372) ومابعدها.

1ـ الإيمان العميق، بمبادىء الإسلام وأهدافه.

2ـ العلم الواسع، بالإسلام وأحكامه، والمسيحية ومبادئها.

3ـ الحكمة الشاملة.

4ـ الحرية الفكرية.

ولابد من توضيح النقطتين الأخيرتين لأهميتهما، وهما الحكمة الشاملة، والحرية الفكرية.

(1) ـ **الحكمة الشاملة**: ورد موضوع الحكمة في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، وورد بلفظ الحكمة في عشرين موضعاً[1]. من ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

[البقرة: 269].

وقد ذكر الله تعالى في كتابه بعض نعمه على بعض عباده، فاختصّ من بين نعمه التي ذكرها نعمة النبوة والرسالة، ونعمة الحكمة، قال الله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾

[النساء: 54].

ومن بين الذين اختصهم الله تعالى بالحكمة نبيه داود ـ عليه السلام ـ قال الله تعالىٰ: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: 20].

وأيضاً نبي الله عيسى ـ عليه السلام ـ أكرمه الله بالحكمة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الزخرف: 63].

ومن بين عباد الله الصالحين الذين اختصهم الله بالحكمة لقمان الحكيم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: 12].

---

(1) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص213).

وكانت الحكمة إحدى المهمات الأربع الرئيسة التي حملها رسول الله ﷺ إلى أمته وهي:

1ـ تبليغ كتاب الله تعالى، ودعوة الناس إليه.

2ـ تزكية النفوس، وتطهيرها من آثامها.

3ـ تعليم أحكام القرآن الكريم، وشرحها.

4ـ تعليم الحكمة.

وقد وردت هذه المهمات في أربعة مواضع في القرآن الكريم، اثنان منهم في سورة البقرة، وواحد في سورة آل عمران، وواحد في سورة الجمعة.

قال الله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: 164].

وقد رسم الله تعالى لرسوله ﷺ أسلوب الدعوة إليه تعالىٰ، فكان أحد أركان هذا الأسلوب: الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة.

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125].

وتُعرَّف الحكمة بأنها: العلم بحقائق الأشياء، على ما هي عليه في الوجود، بقدر الطاقة البشرية، ثم العمل بمقتضاها. وهي تنقسم إلى: حكمة عملية، وحكمة نظرية(1).

ولذلك اعتبر العلماء ـ وبخاصة المفسرون ـ الحكمة هي سنة النبي الكريم ﷺ من حيث أقواله، وأفعاله، وتقريراته(2).

وقد سميت السنة النبوية بالحكمة، لأن الحكمة تشتمل على: سداد القول،

---

(1) انظر: كتاب التعريفات (ص96). وفصوص الحكم (3/2). وتفسير التحرير والتنوير (327/14).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم (554/1).

obeikandl.com

وصواب العمل، وإيقاع ذلك في مواقعه، ووضعه في مواضعه اللائقة. ولاشك أن أقواله ﷺ وأفعاله، وأحواله وإقراره، جميع ذلك هو عين الحكمة[1].

والذي يتعلق هنا بشخصية الطرف المسلم المحاوِر، أن يكون ذلك المسلم على المستوى اللائق من الحكمة بمفهومها الشامل، حيث يعلم حق العلم ماهو مقدم عليه في حواره مع المسيحيين، ويسلك إلى ذلك الحوار أفضل السبل التي يراها كفيلة بإيصال دعوة الله تعالى إليهم على حقيقتها، وجمالها، محاولاً عدم تنفيرهم منها، مستهدياً في ذلك خُطا النبي ﷺ، في حكمته الشاملة، التي استطاع بها ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يأخذ بقلوب وعقول من التقاهم من المسيحيين، إلى طريق الإسلام والإيمان.

(2) ـ **الحرية الفكرية**: مع وجود الثقة بها، فلا يمكن أن يكون المحاوِر واقعاً تحت إرهاب فكري، أو نفسي، يشعر من تأثيره بضعفه، أو سقوطه أمام شخصية الطرف الآخر، وذلك برفضه لكل مظاهر العظمة، والافتخار والتعالي عند الطرف الآخر.

ويمكن رؤية هذا بوضوح في القرآن الكريم، ومن خلال سيرة النبي ﷺ.

فالقرآن الكريم يعرض أمراً واضحاً في الحوار بين النبي ﷺ وبين الأطراف الأخرى التي يحاورها خلال مسيرة الدعوة، وهذا الأمر يقول: إن الرسول الكريم ﷺ بشر مثل سائر البشر، ولم يتفضل عليهم إلا بتلك الرسالة الربانية، ومهمته التبليغ والتوضيح وحسب.

فبهذا العرض تزول كل مظاهر السيطرة أو التعالي، أو عملية الاحتواء بسبب الصفات أو الألقاب أو الإيحاءات[2] التي قد تُعرض من قبل الأطراف المتحاورة لأجل الهيمنة على الطرف المقابل.

وفي ذلك يقول الله تعالى موضحاً هذه النقطة: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: 110].

---

(1) انظر كتاب: سيدنا محمد رسول الله ﷺ (ص98).

(2) مثل ألقاب: البروفسور، الدكتور، الأستاذ العلامة، صاحب القداسة...

وقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: 188].

فالآيات واضحة في دلالاتها: إنها تشير إلى أن الرسول الكريم ﷺ لايمكن أن يمارس هيمنة وسلطة وتكبراً على الذين يقوم بدعوتهم، بسبب أنه رسول الله تعالى، بل توضح الآيات حقيقة الرسول أنه بشر ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً: (إنه بشر)، و (لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً).

فإذا كان الرسول ﷺ يرفض ممارسة أي إرهاب أو تخويف على الأطراف التي يدعوها للإسلام، لكي يترك لها الحرية والاستقلالية في التفكير، فمن باب أولى يجب أن تكون للمسلم الذي يحاور الآخرين هذه الحرية والاستقلالية في التفكير، بعيداً عن هيمنة الألقاب والمناصب، أو ما يسمى بالفارق الحضاري.

العنصر الثاني: شخصية الطرف الآخر المحاوَر:

حيث يطلب أن توجد لديه الرغبة الواضحة في الوصول إلى الحق، والاعتراف به إذا ظهر، والإذعان له، وكل ذلك خوفاً من تحوّل الحوار إلى نوع من الجدل العقيم، الذي لايراد منه إلا الجولات الكلامية التي لاتفيد.

ولذلك ركّز القرآن الكريم على رفض أمثال هؤلاء الذين لا يريدون الحق أو الوصول إليه، ويعاندون الدليل إذا ظهر صوابه.

يقول الله تعالىٰ: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: 25].

فأمثال هؤلاء المعاندين لايمكن الجلوس معهم على مائدة واحدة للحوار، لأنهم وإن عُرض عليهم الحق فلن يقبلوه، بسبب مكابرتهم، وحتى لو عرضوا مقدماً أنهم يريدون الأدلة الصحيحة على الأفكار المعروضة، إلا أن طلبهم لهذه الأدلة لن يفيد بشيء، فليست القضية طلباً للأدلة، أو عدم طلب لها، بل القضية فقدان الاستعداد للإيمان بالحق، والإذعان له عند ظهوره.

obeikandi.com

ويأتي تصوير القرآن الكريم لهؤلاء واضحاً في قول الله تعالىٰ: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 109].

وقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: 111].

وقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: 21].

العنصر الثالث: إيجاد المناخ الهادىء للتفكير المستقل:

أي الابتعاد عن كل المؤثرات الداخلية والخارجية، وبخاصة الانفعالات التي قد يحملها أحد الأطراف تجاه الطرف الآخر.

فمثلاً كانت قريش عندما يُعرض عليها الإسلام، تبني كل أفكارها في الحوار مع النبي ﷺ على مؤثر وانفعال خاص بها، ولا تريد أن تتجاوزه، ألا وهو: أن النبي ﷺ الذي يدعوها إلى الإيمان هو بشر مثلها. وتنسى أهداف الدعوة، وكل المبادىء التي تتقدم بها.

يقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: 94].

وفي موضع آخر يطلب القرآن الكريم من الآخرين أن يتجردوا عن الجو الانفعالي في نظرتهم إلى الرسول ﷺ فقد اتهموه بالجنون، وأصبحت هذه التهمة تسيطر على تفكيرهم، فدعاهم القرآن الكريم إلى التجرد عن هذا كله، ثم دعاهم إلى البحث العلمي والمنطقي في الرسالة السماوية.

يقول الله تعالىٰ: ﴿۞ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: 46].

obeikandi.com

العنصر الرابع: العلم بموضوعات الحوار:

إذ لابد لطرفي الحوار من معرفة الموضوعات التي يريدون التحاور حولها، لأن الجهل سيؤدي إلى المهاترات أو الشتائم، ليغطي كل طرف عجزه وجهله بالأفكار المعروضة.

وقد صّور القرآن الكريم أولئك الذين يريدون الحوار دون علم بموضوعاته التي سيتحاورون فيها، في قوله تعالىٰ: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: 66].

وقوله تعالىٰ: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس: 39].

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ [لقمان: 20].

المبحث الثاني

منهج الحوار الإسلامي المسيحي في ضوء الكتاب والسنة

سبق في المبحث السابق ذكر العناصر التي وضعها القرآن الكريم لأي حوار بين المسلمين وغيرهم، وكانت السنة النبوية مطبقة ـ بشكل واضح ـ لهذه العناصر.

وفي هذا المبحث لابد من معرفة المبادىء التي يجب السير في مراحلها في موضوع الحوار الإسلامي المسيحي، وهي على النحو التالي:

المبدأ الأول: الدعوة إلى الله تعالىٰ.

يقوم الحوار الإسلامي المسيحي ومشروعيته من الكتاب والسنة على مبدأ إسلامي واضح، وهو مبدأ الدعوة إلى الله تعالىٰ، ودين الإسلام.

وتُعتبر الدعوة إلى الإسلام من أهم معالم المنظور الإسلامي العام والخاص، إذاً

obeikandl.com

فالحوار هو في الحقيقة التطبيق العملي لمبدأ الدعوة إلى الإسلام، مع القريب والبعيد، والعدو والصديق، ومع كافة أصناف البشر، ومختلف العقائد والتيارات الفكرية والملل والنحل.

والآيات التي تحدثت عن هذا المبدأ كثيرة، منها قوله تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33].

والمهمة الأولى في قضية الدعوة إلى الله تعالى هي: عرض الإسلام بجوهره الحقيقي، وثوبه القشيب، ووضوح رسالته، وإبراز جماله، وشموله لكل جوانب الحياة الإنسانية، الخاصة والعامة، وصلاحية تشريعه لكل زمان ومكان، وأن رسالة الإسلام ما جاءت إلا لتسعد الإنسانية جمعاء، وتوضح لهم سبل النجاة، والأمن، والاطمئنان، والعيش بسلام ومحبة وإخاء، ويقول الله تعالىٰ عن مهمة الرسول الكريم ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

المبدأ الثاني: سبيل الدعوة إلى الله تعالى هو الحكمة والموعظة الحسنة:

إن أي حوار يقوم بين طرفين لابد وأن تكون له إحدى وجهتين:

- **الوجهة الأولى**: قيام الحوار على مبدأ العنف: وتقوم هذه الوجهة على مواجهة الخصم بأشد الكلمات، وأقسى الأساليب، ويتركز فيها العرض على التجريح والتنقيص، وإحصاء الأخطاء والعثرات، وأحياناً تصل إلى مرحلة الإهانة، ولا مجال فيها لمراعاة الشعور والعواطف، أو احترام العقائد والمقدسات. بل تصبح المواجهة وكأنها تحدٍ صارخٍ للشعور الإنساني.

وهذه الوجهة لا تحتاج إلى التأكيد على عدم جدواها، بل هي على العكس ستولِّد المزيد من الأحقاد والبغضاء، وبُعْدِ الشُقة بين المتحاورين، وعدم إمكانية التقريب بين وجهات النظر.

obeikandl.com

وما أروع القرآن الكريم حين نبّه الرسول ﷺ إلى الحذر من هذه الوجهة، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159].

ويأمر القرآن الكريم النبي ﷺ عندما يتوقف الحوار، وتتعطل سُبل الدعوة إلى الله تعالى، يأمره بالانسحاب الهادىء، وإنهاءِ العلاقة بألطف العبارات، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: 41].

وقد حذر النبي ﷺ من عرض الإسلام بشكل عنيف صاخب، فقال: «يسروا ولا تعسّروا، وبشّروا ولا تنفروا»(1). وكانت هذه العبارة وصيته الدائمة ﷺ لمن كان يرسل من أصحابه في المهمات.

ـ **الوجهة الثانية**: قيام الحوار على مبدأ عدم العنف: أي الحوار الهادىء. وهو الطريقة السلمية التي تعتمد على اللين والمحبة أساساً للحوار، ولذلك لابد من سلوك هذه الطريقة، بالكلمات الطيبة المرنة، التي تفتح القلوب على الحق، وتقرّب الأفكار إليه، وتخاطب فطرة الإنسان ووجدانه، بعيداً عن كل المعاني الشديدة، والألفاظ القاسية.

وتقوم هذه الوجهة على النقاط التالية:

(أ) ـ الحوار بالتي هي أحسن:

ويتضح ذلك من خلال الآيات التالية:

1ـ قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33].

2ـ وقوله تعالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125].

---

(1) رواه البخاري في صحيحه (24/1).

3ـ وقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: 46].

فالتي هي أحسن، هي التعبير عن الحوار الهادىء، والأسلوب السلمي.

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾ [فصلت: 34]. فقد جاء فيه تعبير السيئة، وهو مبدأ العنف، والحوار الصاخب، والأسلوب الشديد.

وعندما يختار القرآن الكريم مبدأ الحوار الهادىء، والأسلوب السلمي، وطريقة اللين، يشير إلى نتائج هذا المنهج، وهي نتائج تكاد تكون خيالية، إنها تُحوّل العدو إلى صديقٍ، والمبغضَ إلى محب، والبعيدَ إلى قريب.

وبهذا كله يتحقق للحوار هدفه، وهو الوصول إلى الإيمان، أو إلى أكبر قدر من الفهم المشترك في الأسس والأهداف.

والحوار بالتي أحسن يتمثل في اتباع أفضل الأساليب وأحسنها، في إقناع الطرف الآخر بالفكرة التي يدور حولها الحوار، بحيث يظل المسلم في بحث دائم عن الأساليب التي توصله إلى الطريقة الأفضل في موضوع (التي هي أحسن)، سواء في المنهج، أو الفكرة، أو الأسلوب، أو انتقاء العبارات.

(ب) ـ اعتماد العقل والتفكير السليمين:

يهدف القرآن الكريم إلى إبراز الحجة والبرهان، والمنطق العلمي والعقلي، ويتابع التسلسل المنطقي في كل فكرة يوردها، ويدلّل عليها.

وتقوم هذه النقطة على الأسس التالية:

أولاً: تقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة للدعاوي.

ثانياً: إثبات صحة النقل في الأمور المروية المنقولة.

وهذا ما تشير إليه القاعدة التالية في منهج علماء المسلمين في بحثهم عن الحقيقة، وهي: إن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدّعياً فالدليل(1).

---

(1) انظر: ضوابط المعرفة (365) ومابعدها. وكبرى اليقينيات الكونية (ص34) ومابعدها.

ولعل مثالاً واحداً يوضح هذه الفكرة، وهو قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 59].

فبكل عقلانية ومنطق سليمين يقول القرآن: إنكم يامن اتخذتم المسيح إلهاً من دون الله عز وجل، لأنه قد خُلق بمعجزة، وهي كونه قد ولد من دون أب، فإن آدم ـ عليه السلام ـ من قبله، قد خلق من تراب، أي من دون أب أو أم، ـ وأنتم تؤمنون بهذا ـ فلماذا لا يكون آدم إلهاً لكم أيضاً، بناء على نفس المنطق الذي تسيرون عليه، مع أن معجزة آدم أعظم من معجزة المسيح، ولكن عيسى ليس إلا مثالاً كمثال آدم ـ عليهما السلام ـ.

(جـ) ـ التجرّد عن الأحكام المسبقة:

وهذا هو الأسلوب العملي، الذي يقوم على تفريغ الحوار من الأفكار المسبقة، بين المتحاوِرِين، والتي تحول دون الوصول إلى الصواب، وتشكل حاجزاً نفسياً يصعب اختراقه.

ومعنى التجرد عن الأحكام المسبقة الخاصة: وضع مبدأ الشك في كل شيء يُعرض مبدئياً، من قبل طرفي الحوار، ويوحي مبدأ الشك هذا بضرورة أن يعيد كل طرف النظر في موقفه وأفكاره التي يحملها، أي مراجعة الذات بما تحمله من أفكار ومبادىء.

فليس لدى أحد الفريقين حكم سابق على الطرف الآخر بأنه على الهدى، أو على الضلال، ويتضح هذا الأمر في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: 24].

إذ ليس في أسلوب القرآن الكريم مبدأ: نحن على الحق والهدى، وغيرنا على الضلال. إذ لا يمكن أن يُطْلَق هذا الحكم مقدماً قبل البحث والاستدلال وإقامة الحجة والبرهان.

(د) ـ مواجهة الطرف الآخر من خلال أفكاره:

أي على مبدأ: من فمك أُدينُك. وهذه النقطة تحثُّ كل طرف على عرض كل أفكاره على ساحة الحوار، ويحاول دعم وجودها بكل الأدلة والبراهين.

openkanali.com

وهذا أمر لا يخيف الطرف المسلم مطلقاً، بل يقول للطرف الآخر: هات ما عندك من أفكار، وأبرز حقائقها، وادعم سَيْرها، فيصل بذلك إلى عملية تفريغ كاملة لكل أسلحة الطرف الآخر.

ثم يعرض المسلم ما لديه من أفكار، ويقول: هذا هو الحق الذي نؤمن به، وهذا هو الهدى الذي نتبعه، فإن كان لديكم ـ يخاطب الطرف الآخر ـ طريق أفضل، أو عقيدة أصح، فنحن على استعداد لقبولها وتلقيها.

وقد جاء هذا واضحاً في قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [القصص: 49].

(هـ) ـ عدم إثارة الطرف الآخر:

وهو مبدأ مهم جداً، لأن الإثارة ستولد انفعالاً، ومع هذا الانفعال سينحرف الحوار عن منهجه، فيؤدي ذلك إلى قطع كل الحبائل التي يمكن أن تقرّب بين وجهات نظر الطرفين، ويعتمد هذا المبدأ على قول الله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: 108].

فهذه الآية فيها نهي للمؤمنين عن شتم وسبّ آلهة المشركين، وهي المعبودات الباطلة، لأنهم إذا شتموها نفّروا المشركين أكثر، وزادوهم بُعداً عن الإيمان.

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «قالت كفار قريش لأبي طالب: إما أن تنهى محمداً وأصحابه عن سب آلهتنا والغضّ منها، وإما أن نسب إلهه ونهجوه»[1].

وقد قال العلماء عن هذه الآية الكريمة: «وحُكمها باق في هذه الأمة على كل حال، فمتى كان الكافر في مَنَعة، وخِيف أن يُسبّ الإسلام، أو النبي ﷺ أو الله عز وجل، فلا يحل لمسلم أن يسبّ صلبانهم، ولا دينهم، ولا كنائسهم، ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك؛ لأنه بمنزلة البعث على المعصية»[2].

---

(1) انظر: لباب النقول في أسباب النزول (ص119).

(2) الجامع لأحكام القرآن (61/7).

المبدأ الثالث: الدعوة إلى نقاط التلاقي:

إن وحدة الأصل السماوي للديانات، وصدورها من نبع واحد، يدعو بشكل صريح إلى البحث دائماً عن الأسس المشتركة التي جاءت بها هذه الرسالات.

ولقد بيّن القرآن الكريم تلك الأسس التي تنبني عليها عقيدة الرسالات السماوية، ولذلك يضع نقاطاً واضحة في عملية التقريب بين المسلمين والمسيحيين؛ فهو يطلب من المسيحيين الإقرار بتلك النقاط، ويظهر هذا من خلال الآيات الآتية:

(1) ـ قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 64].

فهذه هي البداية الأولى للقاء والتقارب، وهي الكلمة السواء، كلمة الحق والعدل، التي تسّوي بين الجميع، إنها كلمة الإذعان والخضوع لإله واحد خالق، لا شريك له، وهذا هو منطوق الآية: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾.

(2) ـ وقوله تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: 285].

(3) ـ وقوله تعالىٰ: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 136].

(4) ـ وقوله تعالىٰ: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: 13].

فهذا كله هو نقاط التلاقي والتقارب، التي يدعو إليها القرآن الكريم، وهي تتعلق بإيمان المسلمين بكل الأنبياء والرسل، والكتب المنزلة عليهم، دون تفريق بين أحد منهم.

إن هذه النقاط هي دعوة من خلال الحوار الإسلامي المسيحي، إلى كل المسيحيين لكي يعودوا إلى حقيقة الأديان، التي جاءت بها الرسل الكرام ـ عليهم السلام ـ من غير تحريف، ولا تشويه.

openkanaal.com

المبدأ الرابع: عدم الإكراه مطلقاً:

من خلال عملية الحوار لا يحق لطرف أن يمارس الإجبار أو الضغط على الطرف الآخر، أو أن يستخدم الإرهاب الفكري؛ ليحوله إلى معتقده، أي يجب أن يكون سير الحوار ضمن حرية فكرية واضحة، وهذا ما تشير إليه الآيات التالية:

(1) ـ قال الله تعالىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة: 256].

(2) ـ وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 99].

(3) ـ وقوله تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: 29].

(4) ـ وقوله تعالىٰ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: 21ـ22].

وسبب نزول الآية الأولىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ أن أهل يثرب كانوا قبل الإسلام ينذرون: إن رُزقوا بأولاد أن ينصِّروهم، أو يهوِّدوهم، فلما أُجليت بنو النضير، أراد بعض الصحابة أن يجبروا أولادهم على ترك اليهودية، والالتحاق بالمسلمين، فنزلت الآية[1].

وروى زيد بن أسلم عن أبيه، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لعجوز نصرانية: «أسلمي، أيتها العجوز، تسلمي، إن الله بعث محمداً بالحق». قالت: أنا عجوز كبيرة، والموت إليَّ أقرب! فقال عمر: «اللهم اشهد». وتلا قوله تعالىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾[2] [البقرة: 256].

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن (280/3). وتفسير القرآن العظيم (310/1).
(2) الجامع لأحكام القرآن (280/3).

المبدأ الخامس: مبدأ الإعراض والصبر والتحمل:

ويأتي هذا المبدأ عندما لا توجد نتيجة واضحة للحوار، فلابد حينئذ من الإعراض، بمعنى عدم متابعة الحوار، حيث إنه يصبح جدلاً، فيجب ألا ينزل المسلم عن أهدافه، وأسلوبه في الحوار، ويعامل الطرف الآخر معاملة المثل؛ إذ قد لا يتورع الطرف الآخر عن الطعن، والتشويه للإسلام وعقيدته، والنيل من عِظم رسالته وسموّها، والإساءة إلى نبيه ﷺ فلا يمكن مقابلة هذه الأخطاء بالطعن في المسيحية، والإساءة إلى نبيها ـ عليه السلام ـ والتنقيص من كتابها؛ فهذا هو المقصود من مبدأ الإعراض والصبر والتحمل.

والآيات التي تتحدث عن هذا المبدأ كثيرة منها:

(1) ـ قول الله تعالىٰ: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: 109]. فهنا أمر واضح بالإعراض عن الخوض مع أولئك الذين يريدون الانحراف عن الحق إلى غيره، وطالب أيضاً بالصفح عنهم.

(2) ـ وقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾ [البقرة: 139].

(3) ـ وقوله تعالىٰ: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: 20].

(4) ـ وقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [آل عمران: 186].

(5) ـ ولعل سورة (الكافرون) توضح هذه الفكرة بكل صراحة، وهي التي تسمى السورة الفاصلة، يقول الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ [الكافرون: 1ـ6].

obeikandl.com

المبدأ السادس: مبدأ التعايش السلمي:

ويعتبر هذا المبدأ نهاية المطاف في الحوار، لتبدأ مرحلة جديدة من العلاقات القائمة على الاحترام المتبادل بين المسلمين والمسيحيين، وهي مرحلة التعايش السلمي، وعدم تعرض كل طرف لمقدسات ومعتقدات الطرف الآخر.

والإسلام هو الدين الوحيد الذي حمل لواء فكرة التعايش السلمي بين الأديان، وذلك عندما لايجدي الحوار في أمور العقيدة، وحتى لا يتحول الحوار إلى جدال متوتر ينسف كل أجواء التعايش من أساسها.

والقرآن الكريم واضح صريح في هذه النقطة، حيث يبين أنه لا حرج على المسلم أن يحيا التعايش السلمي، بينه وبين أي إنسان مخالف له في دينه ومعتقده ولم يظاهر الطرف الآخر على المسلم بالعداوة والتحريض، أو الإساءة والخيانة، وهذا التعايش السلمي قائم على أساس من العدل والإحسان، يقول الله تعالىٰ: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[1] [الممتحنة: 8].

ويبدو هذا المبدأ واضحاً في تطبيقات النبي ﷺ كما سبق مع وفد نصارى نجران، حين وصل الحوار إلى طريق مسدود، وتوقفت القدرة على الحوار، عند ذلك تحول الرسول ﷺ إلى مبدأ التعايش السلمي، ووضع مبادىء العيش المشترك، من خلال المعاهدات التي سبق التحدث عنها[2].

وقبل ختم هذا الفصل لابد من الإشارة إلى بعض الملاحظات المهمة حول مبادىء الحوار الإسلامي المسيحي، وهي:

الملاحظة الأولى: إن المبدأ الخامس للحوار مع المسيحيين، وهو مبدأ الصبر والإعراض والتحمل، لا يعني مطلقاً ترك الدعوة إلى الله تعالى، أو إيقاف عملية

---

(1) انظر سبب النزول: لباب النقول (ص291). وصحيح البخاري (95/2).

(2) انظر نص المعاهدات في التمهيد والفصل الثاني من الباب الأول من هذا الكتاب: (ص42-46-50-138).

obeikandi.com

عرض الإسلام على حقيقته، وإبراز جماله، والحث على الإيمان به، والتبشير بمعتقداته بين صفوف جميع أتباع الأديان والمعتقدات الأخرى، وبشتى الوسائل، ومختلف الطرق.

وإلى هذا تشير الآية الكريمة، في قوله تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الشورى: 13-15].

الملاحظة الثانية: إن مبادىء الحوار الإسلامي المسيحي هذه كلها لا تعني مطلقاً أن تتوقف عملية الدفاع عن الإسلام، ومحاربة الشبه والافتراءات التي يطلقها الطرف الآخر في كل فترة من الفترات، وبعدة أشكال، وبخاصة تلك الافتراءات التي تمس جوهر الإسلام، وعقيدته، وتسيء إلى نبيه ﷺ وإلى أحكامه وشرائعه.

الملاحظة الثالثة: في حال رفض الطرف الآخر لكل أشكال الحوار، وظهور عدم رغبته في التعايش السلمي، وفي حال اندفاعه إلى محاربة الدعوة الإسلامية، والحد من انتشارها، والسعي إلى تدميرها، بحيث تتحول تلك الافتراءات إلى منهج كامل له. أي يسير الطرف الآخر في طريق العداء الصريح للإسلام والمسلمين، ظاهراً وباطناً، فعند وجود مثل هذه الحال لابد من الوقوف بحزم في وجه هذه الأخطاء كلها، وتوقيفها عند حدودها، وذلك بالتأديب الذي قد يصل إلى مرحلة القتال، فيكون القتال عندها واجباً شرعياً، للدفاع عن العقيدة وحرمات الدين، أي تكون الحرب في تلك الحال حرباً دفاعية وقائية، دفاعاً عن الدين، ووقاية للدعوة من التوقف والانهزام.

وإلى هذا تشير الآية الكريمة في قول الله تعالىٰ: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: 190].

* * *